الدالقارئ:

غياب النقد

بقلم: البشير بن سلامة

اقول غياب النقد لا انعدامه لان النقد في تونس موجود كالظل يلازم المرء وهو متوار أو كالمرآة المحجبة لا يعرف ما وراء نقابها هل هو الجمال أو القبح ، الجدة أو البلى ، الشباب أم الشيخوخة .

النقد في تونس متوار ، محتشم ، خجول .

النقد في تونس مختنق ، مبحوح الصوت ، خافته .

النقد في تونس اصابه الشحوب والهزال ، فاقعده عن النهوض واقفا على قدميه ، صلب العود ، جريء الهيئة ، فحل المواقف .

أغلب الظن أن ليس من متتبع للحركة الادبية والفكرية والثقافية بصورة عامة الا وهو ضجر من وضع النقد في بلادنا ، متبرم منه ، متسائل عن أسباب تدليه الى هذه الدركات .

* * *

فكيف يعقل أن يكون بيننا من كتاب القصة والمسرحية والبحوث والدراسات والمقالات من لا يمكن أن ينكر قيمتهم أحد ، ومن الشعراء جدد وقدماء من اعترف لهم الجمهور بالشاعرية والسبق ولا ينـدس بين صفوف هؤلاء وأولئك ناقد واحد اشتهر بهذا الفن وكرس جهوده باطراد لتقييم الآثار الادبية والفنية واختص بطب بنات الافكار وعصارة الاذهان .

والناقد طبيب يتصدى لكل مولود جديد يفحصه ويقلب أعضاءه ويتثبت من سلامة باطنه وظاهره ويحدد درجة اكتماله وحظوظه من العيش الطويل حتى يشب بين القراء صلب العود بهى الطلعة موفور الصحة مرتقب الحضور بعد أن أحيط بكل عناية ووقى من الآفات والعلل والادواء بالعلاج والدواء ٠

واذا غاب الطبيب أو عجز وعز الدواء لعلة أصابت المطبب أو حادث طرأ له فمن يتعهد المولود الجديد بالعناية والحدب ، ومن يأخذ بيد الشاب عند عثراته والكهل من جراء إرهاقه ٠ لنبحث عند ذلك عن طبيب للناقد خوفا من أن يستوى الحال عند المتطبب والمطبب والمداوى والمداوى ٠

★ ★ ★

قد يقول البعض كفى من المبالغة والمقارنات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا تشفى من علة لان « الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع مكروه أتى » ثم إن النقد موجود على صفحات الجرائد والمجلات ووسائل الاعلام عامة ٠ نعم ، الحديث عن الكتب الجديدة وعن أعداد المجلات التى تطلع من فصل الى آخر والعروض الخاصة بأنواع الفنون ، والهجمات المتفرقة نحو البرامج الاذاعية والتلفزية كل هذا موجود ومرغوب فيه لأنه تعريف وإعلان ولفت انتباه ٠ ولكن النقد والناقد أين هما من كل هذا ٠ فهما فى « غيبة تطلب » ، « فتدرك » ٠

★ ★ ★

إن « الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع مكروه أتى » ، فما هى أسباب هذا المكروه الذى أصاب حياتنا الادبية والفكرية أو بصورة أخرى ما هى دواعى هذه الغيبة ـ غيبة النقد ـ عنا ؟

أهى قلة الانتاج الادبى والفكرى والثقافى بصورة عامة ، وهى قليلة لا محالة لتقاعس وسائل النشر خاصة لا لعقم من المنتجين ٠ ورغم هذا فان آثارا لها قيمتها ظهرت منذ الاستقلال الى اليوم وهى محتاجة الى التقييم ومواصلة اصدار الاحكام عليها أو لها ٠ ولو سلمنا بقلة هذا الانتاج فانه ليس أقل حجما مما صدر فى الثلاثينات من الاعمال الادبية والفكرية وقد صاحبت ذلك حركة نقدية فيها سلبيات كثيرة ولكنها كانت موجودة لا محالة ٠

أم هو عزوف الجمهور القارىء أو غيابه أيضا ؟ وليس بين أيدينا الى اليوم بحث مستقصى عن القارىء التونسى : ماذا يقرأ ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ ولماذا لا يقرأ ؟ أهى القطيعة بين الكتاب والشعراء التونسيين وبين الجمهور نظرا لاختلاف المشاغل والاهتمامات أم هو تحول جيل كامل من الشباب الى المطالعة باللغة الفرنسية دون العربية واتجاهه كما قال بعضهم الى الشمال يستمد بضاعته الثقافية منه مستهلكا الى حد الهلكة بينما سوق الاديب التونسى لم يجدها لا فى الشمال ولا فى الجنوب ؟

أم هى انقسامات « المثقفين » الشكلية ، الشخصية ، الهوائية التى لا تستند فى أكثر الاحيان على دواع ثابتة مدعمة هى التى أغرقت الجو الثقافى فى هذا الغياب « المازوشى » الذى لا يدل على لامبالاة بل هو « القدر الدقيقة » التى لم تجد متنفسا وبقى ما فيها يأكل بعضه بعضا مآله فى آخر الامر الى انفجار أو تبخر ؟

أم هو ما يشكوه بعضهم ـ فى الزوايا والاركان لا محالة ـ من أن المناخ العام فى البلاد لا يشجع على الاصداع بالرأى فى حرية وطلاقة، وأن وسائل الاعلام غير قابلة لفتح أبواب النقد ولسان حالهم يقول : نحن ننتظر الوقت الذى تمنح لنا فيه حرية التعبير، فلنتلهَ اليوم ولنهتم بأشياء أخرى تعود علينا بالنفع « المادى طبعا » وهم أعرف الناس بأن حرية التعبير والتفكير تستلزم النضال والكفاح والتضحية والشجاعة ٠ ولا أعلم أن أحدا رائده حب تونس وصلاح المجتمع صد عن ذلك أو تحمل تبعات ما كتب اللهم الا معنويا ؟

أم أن الذين هم أقدر الناس على النقد وحذق أساليبه ومعرفة مذاهبه وهم الاساتذة الجامعيون قصروا فى هذا الباب وانشغلوا عنه بالدراسات والبحوث التى لا تحرك الجو الثقافى ولا تهز أركان الحياة الفكرية والادبية ؟

أم هم الادباء لم يوحدوا صفوفهم ولم يهيئوا لانفسهم المناخ الذى فيه ترتفع أصواتهم وبه تتوفر أسباب انتعاش النقد ؟

أم ان المسؤولين على حظوظ الحياة الفكرية والادبية لم يضبطوا سياسة واضحة تاخذ بعين الاعتبار كل المعطيات الايجابية والسلبية مع ايجاد خطة تتبعها اجراءات عملية مدققة بها ينتعش هذا الحقل المصاب بمكروه ؟

* * *

كل هذه التساؤلات قد تثبت عندما توضع على محك الواقع وقد تتهافت ولكن لها على الاقل وجها من وجوه الصحة ان عالجنا ما أثارته من أسباب غياب النقد أصلحنا جانبا من وضعنا الفكري والادبي وانطلقنا به في طريق مفتوحة تؤدي الى مواكبة مجتمعنا المتطور وتجنيبه العثرات ودفعه دفعا نحو ما نصبو اليه جميعا من تقدم لبلادنا وازدهار .

فمسؤوليتنا من اجل حضور النقد بعد غيابه مسؤولية جماعية ما في ذلك شك وهي سلسلة حلقاتها يجب ان تكون متماسكة والا فان عملنا يتعثر ويدخله الوهن . ومع هذا فان كل موضوع مما ذكر لا يمكن علاجه على حدة بل من الواجب التصدي الى المسألة جملة حتى تنتعش الحياة الفكرية والادبية عامة .

على انه من الحتمي أن نولي مسالة النقد عناية خاصة وأن نعقد الملتقيات لتحليل أسباب هذا الركود وتقصي دواعي هذه الغيبة وأن نرصد جوائز سنوية لأحسن ناقد يقدم نقده في حجم كتاب بعد أن أثار اهتمام الجمهور وأفاده وحرك الحياة الثقافية تحريكا يشهد له به أهل الذكر .

بهذا وبغيره نقدر على تلافي هذا الغياب وابعاد هذه الغيبة .

البشير بن سلامة

من الحركات الوطنية العربية

تجربة رائدة ...

بورقيبة وكفاح شعب

بقلم : الدكتور عبد الغفار محمد حسين (*)

كان عبد الناصر وطنيا عربيا حياديا وضد الغرب في أعماقه ، بينما كان بورقيبة يفضل اتحادا مغربيا ويعجب بالحضارة الغربية .

تعرض الوطن العربى فى القرن التاسع عشر لموجة عاتية من الاستعمار ، وكافحت شعوبه فى سبيل حريتها واستقلالها ، وكان لكل دولة من الدول العربية دورها البارز المميز وظهرت فى كل منها زعامات كانت لها برامجها وكان لها اسلوبها ونظرياتها الخاصة فى تحقيق هذا الاستقلال وهذه الحرية .

وكانت تونس احدى هذه الدول التى تعرضت للاستعمار فى العقد الثامن من القرن الماضى وكافحت ضد هذا الاستعمار كفاحا مريرا طويلا جدا ، وظهرت فيها زعامات واحزاب كان لكل منها برنامجه ولكل منها رجاله ومهما

(*) هذه دراسة وافانا بها الدكتور عبد الغفار محمد حسين مدرس التاريخ الحديث بكلية التربية بجامعة طنطا وهى دراسة لم تتأثر بالمغالطات وما راج عن بورقيبة والكفاح التحريرى التونسى فى المشرق العربى واعتمدت وثائق فى أغلبها صالحة للاصداع بالنظرة الموضوعية . ونحن اذ ننشر هذه الدراسة فاننا نشكر الدكتور عبد الغفار محمد حسين على توخيه الحقيقة ونعتبر هذه الظاهرة بادرة تحتذى (الفكر)

اختلف هؤلاء الزعماء وهذه الاحزاب فى اسلوبها فى العمل وفى نظرياتها فى الكفاح فانها اتفقت جميعا فى شىء واحد وهو العمل من اجل استقلال تونس ٠

والحبيب بن على بن الحاج محمد بورقيبة كان احد هؤلاء الزعماء الذين ظهروا فى تونس والذى نالت تونس على يديه استقلالها ، وكانت له نظريته المشهورة به وأسلوبه الخاص الذى عرف به فى كفاحه وموقفه الخاص تجاه المشاكل والمواقف التى أحاطت بتونس ٠

وبورقيبة لا زال على قيد الحياة ، ومن ثم فلم يكتب للبورقيبية بعد الفصل الاخير منها ولكننى فى مقالى هذا انما احاول ان القى ضوءا على تلك الفترة من حياة بورقيبة ، الفترة التى كان يصارع فيها المستعمر وخاصة فى الاربعينات والخمسينات من القرن الحالى والتى انتهت باستقلال تونس فى 20 مارس سنة 1956 م ٠

وولد الحبيب بورقيبة فى الثالث من أغسطس سنة 1903 فى بلدة المنستير وهى قرية صغيرة فى منطقة الساحل حبتها الطبيعة بجمال أخاذ وتكثر من حولها أشجار الزيتون وعرف سكانها بالجد فى العمل واشتهروا بالذكاء والاعتداد بالرأى ، وكان احد افراد عائلة متوسطة الحال فابوه كان ضابطا فى حرس الباى وكان اصغر اخوة ثمانية ولذا فقد كانت الحالة المالية لابيه غير ميسرة فنشأ بورقيبة فى بيئة هى اقرب الى الفقر منها الى الغنى فنشأ شديد الاتصال بالفقراء وأصبح شعوره بآلام الفقراء وشواغلهم وآمالهم مصدر ثورة ضد التخلف والبؤس واستغلال الانسان لاخيه الانسان واصبحت ثورته ضد المستعمر هى ثورة رصينة من اجل الخير واصبحت ثورة هادفة تحرص على البناء من اجل الانسانية (1)

وكان فقدانه لابيه منذ الصغر واصابته بالمرض وهو طفل ذلك المرض الذى لازمه فى حياته قد جعل منه كتلة من المشاعر الانسانية مكنته منذ أن صار قائدا للحركة الوطنية من دراسة نفسية الشعب التونسى فى تلك الجولات الطويلة التى كان يقوم بها فى البوادى والقرى والمدن كما دفعته الى دراسة علم النفس وهو يدرس فى فرنسا فاعطته هذه الدراسة نوعا واضحا من المرونة

(1) عبد المجيد شاكر : البورقيبية (نص محاضرة القاها على منبر المدرسة الجهوية لتكوين الاطارات بقابس فى مايو سنة 1966) نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار ٠ تونس سنة 1968 ص 11

ظهر فى علاقته بفرنسا وفى صراعه معها من اجل حرية تونس (2) وفى تعبئة الشعب التونسى وتخليصه من عوامل اليأس والقنوط اللذان كانا يسيطران عليه وفى تنظيم صفوفه (3) وفى اصداعه بالحقيقة كلها سواء فيما يتعلق بمواجهة الاستعمار او اثناء الاتصال بالجماهير الشعبية (4)

ولم يقتصر الامر على فقدان أمه بل فقد أباه ايضا وهو صغير فاعتنى به أخوه الاكبر محمد وارسله الى مدرسة القرية ثم الى المعهد الصادقى وهو المعهد الذى كان قد أنشأه خير الدين باشا ومنه تخرج العديد ممن حملوا لواء الحركة الوطنية فى تونس ومنهم البشير صفر وعلى باش حامبه ٠ فاحرز شهادتها وهو فى الثامنة عشرة من عمره وارسله اخوه الى الليسيه كارنو وهى مدرسة أقامها الفرنسيون فى تونس لتعليم اللغة والثقافة الفرنسية وبعد ان حصل على درجتها العلمية فى عام 1924 ذهب الى الجامعة فى باريس وهناك درس القانون والعلوم السياسية والمالية (5) وقرأ سير عظماء الرجال وخاصة فيكتور هوجو ، وكان لهذه الدراسة أثر فى فكره وفى شخصيته فأصبح شاعرى المزاج وأغرم بمنطق اللغة الفرنسية وفكرها وأشرب بالثقافة والحياة الفرنسية وحب رنسا فأصبحت تصرفاته وسلوكه تخضع للمنطق ولحاسة الاتساق والانسجام وبرزت اطماعه ومثالياته من فكر خيالى منطلق ، وكان يعتقد فى الطبيعة البشرية الخيرة ويعتقد بوضوح أن الانسان من السهل جعله يدرك الاسباب بالاقتناع والتعليم ولذا فقد تصرف فى ايمان وصبر مع هؤلاء الذين لم يشاركوه رأيه (6)

ومع أن بورقيبة كان قد تشبع بالثقافة الغربية والفرنسية منها بوجه خاص فانه كان يدرك جيدا تيارات الفكر والعقائد التى كانت تسود المنطقة العربية والاسلامية ولم يكن يرغب فى أن يفصل نفسه عن هذه البيئة ، ولكنه كان يحاول التقاء العالمين الاسلامى والغربى ومن ثم فقد عمل على تفسير وتأويل معتقدات الشعب التونسى بما يتوافق مع الحضارة الاروبية المعاصرة ٠

---

(2) محمد الامين خلفة : بورقيبة والجانب النفسانى من خطته ٠ تونس سنة 1971 ص 29 ــ ص 30

(3) المرجع السابق ص 47 ــ ص 53

(4) المرجع السابق 59 ــ ص 65

(٥) كتابة الدولة للاخبار والارشاد : الحبيب بورقيبة تونس 1965 ص 7 ــ 8

(6) Antony Sylvester; Tunisia. London 1969 P. 45

ومنذ نعومة أظفار بورقيبة وجد نفسه مشاركا في احداث بلده وصراعها مع الاستعمار فقد اختار طريق الكفاح وهو لا يزال صبيا غضا وشابا يافعا فعندما كان في الثامنة من عمره شهد بعينه البوليس الفرنسي يسوق افرادا من الشعب التونسي الى المقصلة والى السجون اثر حوادث الزلاج عام 1911 عندما حدث هياج لقيام فرنسا بمسح مقبرة سيدي محمد الزلاج وظن الناس ان السلطات انما تريد الاستيلاء على الارض ، وعندما كان طالبا بالمعهد الصادقي شهد جماهير الشعب التونسي تقف بجوار الباي محمد الناصر في صراعه مع الاقامة العامة في سنة 1922 (7) وبعد ذلك بمدة قليلة عطل المقيم العام صحيفة الصواب فثار بورقيبة وهو لا يزال طالبا وكتب رسالة بخط يده الى المقيم العام يحتج فيها على هذا العمل وكان ذلك طريقه الى صفوف الحزب الدستوري (8)

عاد الحبيب بورقيبة من فرنسا عام 1927 ومعه ابنه الحبيب الابن الذى ولد له في باريس من زوجة فرنسية ليعمل في المحاماة بنجاح وليكتب بنشاط في صحيفة اللواء التونسي (L'Etendard Tunisien) عاد ليجد أمامه معركة طويلة شاقة وليجد نفسه وحيدا في الوقت الذى كانت قلة من اصحابه ترتجف واليأس يخيم على النفوس ومع ذلك فلم يمت الامل في نفسه فقد كان خطيبا مفوها وشجاعا لا يشق له غبار وسرعان ما ظهر سحر شخصيته وعظمته فأحبه كثير من التونسيين ، وكانت كل كارثة يتعرض لها يخرج منها أكثر صلابة واشد عودا فيزداد حب الشعب التونسي له لان النصر حينذاك كان يبدو في نظر الشعب اكثر احتمالا (9) ، والحقيقة أن بورقيبة كان شديد الثقة بنفسه معتدا بها الى حد كبير واصل كفاحه في صبر واناة حتى نالت تونس استقلالها بعد كفاح دام ثمانية وعشرين عاما .

كان بورقيبة يريدها معركة سلمية بعيدة عن التخلف والعنف في مقاومة

---

(7) ثار الشعب التونسي في 5 يونية 1922 تأييدا للباي محمد الناصر فقد نشرت الصحف حديثا مكذوبا منسوبا للباي فأمر الباي بتكذيب الحديث ولما لم يحدث التكذيب امر باقالة الوزير الذى تسبب في ذلك ورفضت الاقامة العامة وهددت الباي الناصر فثار الشعب يؤيده في صراعه مع الاقامة العامة .

(8) عبد المجيد شاكر . المرجع المذكور ص 11 ــ 13

(9) Antony Sylvester; Op. Cit. PP. 45-47.

الاستعمار وذلك حتى يجعل من الفرنسيين اصدقاء لا أعداء يعاملهم بما تمليه الشيم العربية من كرم وتعال عن الظلم (١٠) ٠

ولما كانت تونس تعاني في الثلث الاول من هذا القرن من يأس وقنوط وشك في قدرتها على التحرر وعلق بكثير من اهلها مركبات اليأس والاحتقار التي تحول بينهم وبين التخلص من الاستعمار فقد رأى بورقيبة انه لا بد من الاتصال بالشعب في كل انحاء البلاد لبث الوعي في قلوب الجماهير ولزرع الثقة في النفوس فالتطرف المصطنع في نظره والذي يبدو للعين خلابا مغريا احيانا في ظاهره ينطوي في الحقيقة على شر مستطير لان اليأس والقنوط يدعو الناس الى التغالي والمطالبة بالاستقلال التام ونسيان ان هذا سيكلفهم الكثير لانهم قد يثيرون حربا ضد فرنسا قد لا يستطيعون تجنبها ومعرفة نهايتها ، اما هو فكان يدرك مغبة هذا الامر فلم يترك للعاطفة سلطانا على نفسه ولم يرد ان يرمي بالشعب التونسي الى مغامرة يائسة ولم يرد ان يدفع به الى ما لا طاقة له به (١١)

من اجل ذلك كان تأسيسه للحزب الدستوري الجديد في الثاني من مارس سنة 1934 بعد ان انشق على صفوف الحزب الحر الدستوري القديم اثر خلاف في وجهات النظر واسلوب العمل بينه وبين رجال اللجنة التنفيذية لهذا الحزب، ومن اجل ذلك كانت له نظريته المشهورة في الجهاد ، وكان له اسلوبه الخاص في الكفاح ٠

ان بورقيبة لم يقبل مبدأ (الكل أو لا شيء) ولم يرد ان يجازف بكيان الامة فيخاطر بتعريضها للعسف والقهر وانما آمن بما اعتبره سياسة المراحل وسياسة الحلول المنقوصة ولكنها مراحل وحلول ثورية (١٢)

---

(١٠) اتفاقيات الاستقلال الذاتي خطوة هامة نحو الاستقلال التام ٠ خطاب ألقاه بورقيبة في تجمع شعبي في القلعة الصغرى في 9 أكتوبر سنة 1955 : خطب الحبيب بورقيبة الجزء الاول 1955 / 1956 ص 89 ـ 92 نشر كتابة الدولة للاخبار والارشاد ٠

(١١) من اجل مقاومة التخاذل والديماغوجية ٠ خطاب بورقيبة في اجتماع شعبي بالقيروان في 30 أكتوبر سنة 1955 المرجع السابق ص 93 ـ 107

(١٢) احترام مقررات الاتفاقيات لكسب الاستقلال ٠ خطاب شعبي لبورقيبة في اجتماع ببنقردان في ١6 ديسمبر سنة 1955 : المرجع السابق ص 227 ـ 234

والبورقيبية ليست كما يظن كثير من الناس (خذ وطالب) فهذه السياسة بعيدة عن المنهج الذى اتبعه الحبيب بورقيبة لان رأى أن (خذ وطالب) انما يعنى خذ اى شىء وطالب بالمزيد كيفما اتفق وهذا فيه قدر كبير من الفوضى يباعد بين الرجل الذى يعرف هدفه جيدا وكيف يصل اليه وبين تحقيق هذا الهدف وذلك أن بورقيبة عرف كيف يدرك هدفه جيدا ورأى أن تونس مثلها مثل بقية الدول العربية فى حاجة الى انقاذ وبعث وعرف ان الحرية التى ينشدها لتونس تستوجب منه وممن حوله الجهد وتنظيم هذا الجهد والسير فى مراحل مرحلة بعد مرحلة بشرط توقيت هذه المراحل التى يحقق بها هذه الحرية (13) والسياسى الناجح فى رأى بورقيبة هو (الذى يعقد العزم للوصول الى هذه الغاية ، فيسخر لها عصارة عقله ، وينجح فى جمع الرجال من حوله للكفاح من أجلها ، ويواصل هذا الكفاح دون ما كلل او ملل الى النصر النهائى) (14)

البورقيبية كما يقول بورقيبة هى طريقة والطريقة عنده **أولا** شخصية اذ لكل انسان تصوره النابع من نفسه ومن مداركه ومن اخلاقه وهى لتكون اقرب الى النجاح فلا بد ان ترتبط بالوضع الذى يريد الانسان تغييره وهى **ثانيا** موضوعية اذ الواقع يوحى بها لصاحبها ثم ان عقله يصوغها ويصقلها وبالتفاعل بين الاثنين يجىء المنهج الصحيح وبعد ذلك تحتاج طريقة الكفاح الى مبدأ تنطلق منه وغاية تهدف اليها وقيم تشحذ العزائم وتكسب الهدف والغاية طابع المشروعية وهى فى هذه الناحية تختلف عن العمليات الحسابية ، فالبورقيبية لم تكن الا نظرة للانسان واعتبارا لكرامته ولم تكن الا طريقة لمعالجة الواقع وتغييره بالتدرج للوصول الى الغاية الواضحة المنشودة وهى استقلال تونس فاذا لم تكن لهذه الطريقة معرفة دقيقة بأحوال تونس وما فيها من تفاوت واضح بين امكانياتها وامكانيات فرنسا الكبيرة ، واذا لم تكن هناك ارادة صارمة لتغيير هذا الواقع تدريجيا والثبات فى الكفاح واستمراره حسب خطة تربط المراحل بعضها ببعض وتجند العزائم والهمم عن طريق الدعوة المستمرة وتنمى الاعتقاد والاقتناع بالنجاح عند كافة المناضلين ، اذا لم يكن لها كل هذا فانها تصبح ــ فى نظره ــ طريقة عقيمة مآلها الفشل (15) ٠

---

(13) الحبيب بورقيبة : البورقيبية مذهب وطريقة فى الكفاح من اجل الحرية والتقدم ٠ تونس سنة 1965 ص 5 ــ 8

(14) المرجع السابق ص 3

(15) المرجع السابق ص 1 ــ 9

وقد وجد بورقيبة لطريقته هذه ولاسلوبه فى الكفاح معارضين اتهموه بانه يقبل وجود الحماية وما دام قد قبل الحماية والاتصال بالخصم والتعاون معه والحماية ما زالت قائمة اذن فهو فى نظرهم خائن وطريقته غير مفهومة ويرد عليهم بورقيبة بان هؤلاء عندما كانوا لا يعترفون بوجود الحماية كانت هي موجودة فعلا وكانت فرنسا تسلط عليهم القمع والارهاب فماذا صنعوا ؟ انه يرى فى طريقته وفى اسلوبه فتحا لثغرة فى صفوف الاستعمار لا بد وان تتسع كي يزول هذا الاستعمار فى النهاية وعندئذ تنال تونس استقلالها ، وانما كل ما يلزمه ويضمن له النجاح هو ان يجمع كلمة الشعب التونسى ويداوم الحوار مع فرنسا ويستخدم السلاح وقت الحاجة بشرط أن يكون استخدامه الى نقطة معينة يفسح بعدها المجال للعمل الدبلوماسى وكل ما يلزمه فى سلوكه هذا هو طول النفس والصبر والقدرة على القتال والقدرة على ايقاف القتال عندما تدق ساعة السلم وعدته فى ذلك الرجال عددا وقيمة (16)

وقد بدأ الحبيب بورقيبة بعد عودته يكتب فى الصحف حتى يجمع كلمة الجماهير ويوقظ وعيها وينظمها فى شكل حزب ينتظم صفوفها فيكون بذلك قاعدة نضالية ضرورية لمصارعة فرنسا ، وفى كتاباته هذه حدد مطالبه ومطالب البلاد فى حذر وكياسة حتى يجعل هذه المطالب معقولة ومقبولة من الفرنسيين وحرص فى هذه الكتابات وفى المؤتمرات الصحفية التى عقدها الا يصارع الكبرياء الفرنسى وانما اخذ يتملقه ويترضاه ليسهل عليه الاعتراف بحقوق التونسيين والتسليم بها وليحفظ للفرنسيين ـ كما يقول ـ كرامتهم حتى لا يشعروا بالهزيمة (17) كما بدأ يتصل بالجماهير ويجوب البلاد بواديها

(16) المرجع السابق ص 16 ــ 17

(17) يمكن الرجوع الى هذه المصادر للتعرف على طابع هذه الخطب والمقالات والمؤتمرات الصحفية .

أ) الحبيب بورقيبة : بين تونس وفرنسا . كفاح مرير طيلة ربع قرن فى سبيل التعاون الحر . تونس سنة 1955 م .

ب) خطب الحبيب بورقيبة جزءان 1955 / 1957 نشر كتابة الدولة للاخبار والارشاد .

ج) Centre de Documentation National.

1. Pour preparer le troisieme enpreuve;
   A — Doc. X. Le Neo Destour brise le silence 1944-1949
   B — Doc. XI· » » engage un ultime dialogue 1950/51
   C — Doc. XII. » » » » » »

وقراها ومدنها حتى جمع صفوف الشعب التونسى فى حزب جماهيـرى هـو الحزب الدستورى التونسى الجديد الذى نما بسرعة حتى اربت شعبه فى سنة 1937 على الاربعمائة وأصبح عدد أعضائها يزيد عن السبعيـن الفـا ، وصـار تأثيره على شباب المدارس وطلبة جامع الزيتونة كبيرا ، ونظم الحزب الشباب فى شكل منظمات وحركات كشفية وشجع الحركات العمالية واعتبرها من اجل مظاهر الكفاح التحررى وعارض التفريق بين الطبقـات حفاظـا علـى الوحـدة القومية من التصدع ، وهو فى ذلك يخالف الاحزاب القديمة التى كانت لا تختار رؤساء الشعب الا من أبناء الذوات فى المدن والعاصمة والتـى كـانت تـرى أن الشعب التونسى يجب ان يبقى بعيدا عن المناقشات السياسية فذلك اضمن له ولمصالحه (18) كما انه كان يرى أن الاخذ بأسباب النجاح انما هى ضرورة ولا يكون ذلك الا اذا كانت الامة يدا واحدة فاذا حدث حادث فى بلد يجب ان تشعر به غيرها من المدن والقرى بعكس الحال التى كانت عليه قبلا (19)

سار الحبيب بورقيبة فى كفاحه فى اتجاه معين آمن به كل الايمان وحـرص عليه طوال هذه الفترة وهو ان تونس لن تنال استقلالها الا بمساعدة ومعاونـة فرنسا فهو يرى أن الزعيم الذى يقود بلاده فى سبيل الحريـة يجـب عليـه ألا يغذى شعور العداء عند مواطنيه ضد المستعمر لان شعور الحقد ضد الاجنـاس انما هو وليد مركب التفوق والاحتقار وما دامت تونس تجاهد فى سبيل حرية وكرامة الانسان اذن فلا داعى لاثارة الحقد لاى شعب كان ومن اجل ذلك حرص على أن يخاطب الشعب الفرنسى وان يشرح له أن تونس لا تضمر له حقدا أو كرها وانما هى بلد يقاوم استعمارا مفروضا ولدته مركبـات العظمـة ودعمتـه مصالح فئة جشعة ، والشعوب يجب أن تتعاون دائمـا فـى سبيـل الحضـارة

---

2. H. Bourguiba, Articles de presse 1929-1934.
3. Doc. VII et VIII et IX; Le Neo Destour face à la Deuxieme epreuve. Cinq ans de resistence) 1938-1943.

(18) الوجهة الاصلاحية واثرها فى التفكير التونسى الحديث • بقلـم حسـن الصادق الاسود مجلة الفكر (تونس) السنة 19 العدد 6 مارس سنة 1974 ص 17 — 41

(19) اعمال الرأى ضرورة فى مسايرة التطور • خطاب بورقيبة فـى اجتمـاع شعبى بقابس فى 16 ديسمبر سنة 1955 — خطب الحبيب بورقيبة • جزء أول ص 205 — 210

ولتحسين ظروف الحياة ولذا فان تعمد دولة الى وسائل القهر لتمكن نفسها من العيش الرغد على حساب الآخرين انما هو ضد الحضارة وضد كرامة الانسان (20) فهو يرى أنه لايدافع عن كرامة شعب تونس فقط انما يدافع عن كرامة البشرية كلها (21)

وابتدأ الحبيب بورقيبة جهاده بالاتصال بالشعب التونسي ليعرفه بحقيقة وضعه وكينبهه الى الخطر الذى يهدد كيانه بسبب سياسة فرنسا فى السيطرة على الجهاز الادارى من القاعدة الى القمة ، وسياستها الاقتصادية التى نقلت ملكية الكثير من الاراضى الزراعية الجيدة والكثير من مصادر الانتاج الى يد فئة من المهاجرين الفرنسيين ومنحتهم الامتيازات العديدة بينما الشعب يتضور جوعا ، وسياستها الاجتماعية التى عملت على القضاء على مقومات الشخصية التونسية باتباع سياسة التبشير سعيا وراء تنصير الشعب التونسى واتباع سياسة تقضى بتجنيس الشعب التونسى بالجنسية الفرنسية والعمل على نشر التقاليد والعادات الغربية بين النسوة التونسيات وذلك تمهيدا لسياسة خبيثة تعتمد على ادماج تونس فى جسم الدولة الفرنسية (22) كما دأب على الاتصال بالفرنسيين لاقناع غلاة الاستعماريين وزعماء المهاجرين للتخفيف من غلوائهم والتنازل عن بعض امتيازاتهم ولاقناعهم كذلك بأن فى التفاهم مع التونسيين والتعاون معهم سلاما لهم وحماية لمصالحهم وضمانا لها اذا ما أقر هؤلاء بأحقية التونسيين فى ادارة شؤونهم الخاصة بأنفسهم ، ولاقناع المعتدلين منهم ايضا بعدالة القضية التونسية ولكسب الانصار والمؤيدين لها ومن خلال ذلك تبين أنه من الضرورى أن يحرص على مناصرة الصحف اليومية الفرنسية وخاصة الصحف التقدمية وذلك حتى لا يجد الرجعيون الفرنسيون صحيفة يروجون فيها آراءهم العقيمة • (23)

لم يقف الامر عند هذا الحد فان يكسب الرأى العام الفرنسى ليس كافيا ، وانما وجد ان قضية بلاده فى حاجة الى الرأى العام العالمى فحرص على توفير

---

(20) الحبيب بورقيبة : البورقيبية • ص 19 ــ 20
(21) المرجع السابق ص 20
(22) عبد المجيد شاكر • المرجع المذكور ص 15 ــ 16
(23) الاستقلال التام هدفنا وغايتنا • خطاب بورقيبة فى القلعة الكبرى فى 7 أكتوبر سنة 1955 : خطب بورقيبة ص 85 ــ 88

الاسباب الخارجية لنجاح الكفاح التونسي فكانت رحلاته العديدة الى مصر والبلاد العربية وباكستان والهند وأندونيسيا ثم الولايات المتحدة وانجلترا وفي كل هذه الرحلات والزيارات خطب وكتب في الصحف وحضر المؤتمرات وعقد الندوات لشرح قضية بلاده وكسب الانصار لها حتى اذا ماجد الجد كانت فرنسا في مأزق وحينئذاك يستطيع أن يحاصرها في الداخل ومن الخارج بعد ان يكون قد جذب الى صف قضية بلاده المعتدلين من الفرنسيين وخفف من غلواء طغاتهم (24) ·

وبقدر ما كان بورقيبة يخوض معركة التحرير بنشاط بقدر ما كان يحرص على البناء في نفس الوقت والعمل على بناء المجتمع التونسي على أسس جديدة مرجعها القضاء على الفروق الطبيعية وعلى اساس من التطور والسير الحثيث في طريق الحضارة (25)

واتخذ الحبيب بورقيبة من معاهدة الحماية التي ارغم الباي محمد الصادق على توقيعها في 12 مايو سنة 1881 نقطة بداية لكفاحه وقد كانت هذه المعاهدة هي الاطار القانوني والسياسي الذي اندرجت فيه الخطة البورقيبية منذ البداية فمفهوم هذه المعاهدة انها نظام وقتي مفروض إذ أنه يرمي أولا الى تهيئة الظروف التي تمكن تونس من الاستقلال بعد فترة كما انها تتضمن تعهدا من فرنسا بحماية الباي وعرشه وضمان امن وسلامة تونس (26) ولكن هذه المعاهدة سرعان ما حولها الفرنسيون الى حكم مباشر والى استعمار توطيني فرأى بورقيبة انه من الضروري ان تكون (المرحلة الاولى من اهداف الكفاح هي الرجوع الى منطوق معاهدة الحماية ومفهومها مما يساعد على تحرير تونس من ربقة الاستعمار والحكم المباشر (27) وهذا هو الذي جعل بورقيبة ينادي بأن تونس تسعى لنيل حريتها على اساس من التعاون الحر بين تونس وفرنسا ويتم ذلك عن طريق بناء العلاقات بين البلدين على اساس من المساواة وهذا لا يتنافى مع معاهدة الحماية ·

(24) مصلحة الوثائق الكفاح الوطني : من سجل الكفاح · المعركة الحاسمة 18 يناير سنة 1952 تونس 1965 ص 22
(25) الحبيب بورقيبة : تحرير امة وبناء دولة تونس 1966 ص 12 ــ 13
(26) نص معاهدة الحماية في مايو سنة 1881 : الحبيب ثامر : هذه تونس (نشر مكتب المغرب العربي بالقاهرة) القاهرة 1948 : الملاحق (1)
(27) عبد المجيد شاكر : البورقيبية · ص 15 ــ 23

وهكذا برزت فى البورقيبية سمات خاصة فهى واقعية تعترف بالوضع القائم وتجرد الحماية مما علق بها من الهيمنة الادارية والاستغلال الاقتصادى وهى تعتمد على المعقولية لانها تتبع اسلوب الاقناع مع المعتدلين الفرنسيين وتذكر فرنسا برسالة التمدين ورفع مستوى الشعب التونسى الذى تعهدت به فى معاهدة الحماية وهى تدعو الى التعاون المثمر مع فرنسا وتعمل الى الحوار والاتصال المباشر معها (28) ولذا كانت البورقيبية مرنة بعيدة عن التحجر ويوضح هذا بدوره ما يعرفه البعض عن البورقيبية بأنها سياسة وخطة المراحل او الحلول المنقوصة وهى عند بورقيبة حلول منقوصة ولكنها حلول ثورية فمرحلة تؤدى الى مرحلة تالية ومكملة لها فى تتابع مستمر من اجل الوصول الى الهدف وهو الاستقلال التام لتونس فى كنف المساواة والتعاون مع فرنسا ٠

ولكن ما الذى جعل بورقيبة يلجأ الى هذه السياسة ٠ سياسة الحلول المنقوصة الثورية !؟

ان الذى دعاه الى ذلك ثلاثة أمور ٠

أولا : هو التفاوت الواضح بين قوة فرنسا الكبيرة وقوة تونس الضئيلة بالنسبة لها مما جعل تحقيق المطالب دفعة واحدة أمرا صعبا ٠

وثانيا : ان الحل المنقوص ما دام يؤدى ويوصل الى خطوة نحو الامام فانه سيؤدى فى النهاية الى الحل الكامل ٠

وثالثا : انه لم يرد ان يغلق باب المستقبل فيحول بين تونس ومواصلة المسير ولم يرد ان يجعل من تونس بلدا عدوا لفرنسا بل اراد ان يجعل منها صديقا يمد له الفرنسيون يد المساعدة فى المستقبل فتونس بلد صغير فى حاجة الى البناء بجانب معركة التحرير والى اكمال هذا البناء بعد اتمام هذا التحرر وهذا يجعل بلدا مثل تونس فى حاجة الى دولة متحضرة مثل فرنسا ٠

ولتوضيح هذه السياسة نرى أنه عندما عرض فوازار اصلاحات 4 مارس سنة 1954 رفضها بورقيبة لانها كانت تحمل فى طياتها ازدواج السيادة فى تونس وبذلك فهى تصد عن المسيرة ، اما عندما صرح منداس فرانس فى 31 يولية سنة 1954 برغبة فرنسا فى منح تونس استقلالا ذاتيا قبل بورقيبة الدخول معها فى مفاوضات لان هذا التصريح فتح أبواب المستقبل (29)

(28) الباهى الادغم : عبرة 3 سبتمبر سنة 1934 تونس 1965 ص 16 ـ 26
(29) ـ عبد المجيد شاكر : البورقيبية ص 26 ـ 27

واعتمد بورقيبة فى تنفيذ خطته والامساك بزمام القيادة طوال هذه المدة على قوة شخصيته وعلى فكره وعلى تجاوبه مع آمال الشعب وآلامه ووعيه السياسى ووقوف كوادر الحزب الدستورى حوله حين كان يتعرض للمحن مثلما حدث فى التاسع من أفريل سنة 1938 عندما قبض عليه وقدم الى المحاكمة والقى فى السجن ووجد نفسه وحيدا منعزلا إلا من حب الشعب الذى آمن برسالته وبقدرته على مواصلة الحوار والتفاهم مع الفرنسيين على أساس من الصراحة لتبديد سحب سوء الظن وتقريب المسافات ووجهات النظر واكتساب جو من التأييد والثقة حول الحزب والحصول على معاونة ومساعدة الفرنسيين المعتدلين (30)

وكانت اذا ما حانت فرص التفاهم مع فرنسا ينتهزها فمثلا عندما جاءت حكومة الجبهة الشعبية الى الحكم فى فرنسا سنة 1936 وأمل منها الخير وانتظر منها الكثير رحب بها وبتصريحات الوزير فيانو التى كانت تفتح الباب امام مشاركة التونسيين فى ادارة شؤون بلادهم الداخلية واراد اجراء الحوار مع الفرنسيين ولكن سرعان ما سقطت هذه الحكومة وخاب ظنه وظهر تعنت وتصلب الجالية الفرنسية فى تونس فقامت الاضرابات وحوادث الشغب وانتهت بالقبض عليه فى 9 أفريل سنة 1938 (31)

ولما قامت الحرب العالمية الثانية ونزل المحور بأرض تونس وظن رجال الحركة الوطنية اثناء غياب بورقيبة فى سجون فرنسا ان النصر سيكون للمحور ومالوا اليه والى التعاون معه نكاية فى فرنسا وجدنا ان بورقيبة كان لا يزال يثق فى فرنسا وفى أن النصر سيكون حليفا لها ولحلفائها وارسل الى الحبيب ثامر رئيس الديوان السياسى للحزب الدستورى رسالة من منفاه فى الثانى من اغسطس سنة 1942 يدعوه هو ورفاقه الى عدم التعاون مع المحور والاستمرار فى التعاون مع فرنسا والثقة فيها فهى التى ستنتصر فى النهاية (32)

---

(30) المرجع السابق ص 31 ـ 36

(31) مصلحة وثائق الكفاح الوطنى : من سجل الكفاح ٠ النصر ٠ 1 يونية سنة 1955 تونس 1965 ص 16

(32) الحبيب بورقيبة : بين تونس وفرنسا ٠ كتاب الى الدكتور ثامر فى 2 أغسطس سنة 42 ص 218 ـ 224

واذا ما أخرجه هتلر من سجنه أملا في جذبه الى صف الالمان والايطاليين واذا ما حاول موسوليني اغراءه في التعاون مع الايطاليين اشترط اعلان استقلال تونس الكامل أولا ثم أذاع من راديو باري رسالة الى الشعب التونسي يدعوه الى التعاون مع فرنسا (33) ۰ وفي مايو 1943 كتب يدعو فرنسا الى مد يدها نحو تونس ويدعو لتكوين (كتلة تونسية فرنسية) (34) ولكن فرنسا خيبت ظنه بل وطلبت القبض عليه وقت الحرب فخرج من تونس الى مصر والشرق العربي وبدأ ظنه يخيب في فرنسا بعد ذلك فاعلن في يناير سنة 52 تراجعه عن هذه السياسة واعلن مؤتمر الحزب الذيعقد في ينابر سنة 1952 (ويؤكد المؤتمر انه لا يتسنى التعاون الودي والمثمر بين البلادين (هكذا) في الميادين الثقافية والاقتصادية والدفاع الا بانهاء الحماية واستقلال البلاد التونسية وابرام معاهدة ود وتحالف على قدم المساواة) (35) واعلنها بورقيبة على اثر ذلك ثورة عارمة لزعزعة حياة الاطمئنان في قلوب الجالية الفرنسية في تونس ومحاولة الحاق ضربة بفرنسا وتقدم بشكوى الى هيئة الامم في 18 يناير سنة 1952 واهتزت فرنسا لهول الصدمة (36) ولجأ ايضا الى المناورة فاعلن من منفاه في جالطة انه سيضع حدا لهذه المعركة اذا ما عادت الحكومة الفرنسية الى احترام المعاهدات والقيم الاخلاقية والتزمت الحد الادنى من العدالة في النهاية ولكنها اذا لم تفعل ذلك فلن يلقى الشعب التونسي سلاحه (37) ثم اذا جاء منديس فرانس فصرح في 31 يولية سنة 1954 بأن فرنسا لا تمانع في اعطاء تونس استقلالها الداخلي القى بورقيبة السلاح ودخل مع فرنسا في مفاوضات وعادت اليه الثقة واستعد لتناسى كل الآلام وانواع الحرمان وضروب التضحيات فهي لا تمنعه من تحية العهد الجديد الذى انبثق بين تونس وفرنسا بكل تفاؤل وامل (38)

---

(33) خطاب باري ۰ باري في 6 أفريل سنة 1943 المرجع السابق ص 224 ــ 227

(34) في سبيل تكوين كتلة فرنسية تونسية ۰ مايو 1943 ــ المرجع السابق 227 ــ 230

(35) لائحة المؤتمر القومي الرابع ۰ في سيدي محرز في تونس في 18 يناير 1952 : لوائح ومقررات الحزب الاشتراكي الدستوري من 2 مارس سنة 1934 الى 4 أبريل 1971 (نشر وزارة الشؤون الثقافية والاخبار) ص 23

(36) محمد الامين خلفه : المرجع السابق ذكره ص 38 ــ 39

(37) من رسالة الحبيب بورقيبة الى صحيفة الاكسبريس في 29 مايو سنة 1954 الحبيب بورقيبة : بين تونس وفرنسا ص 499 ــ 508

(38) محمد الامين خلفه ــ المرجع المذكور ص 41

وكانت لبورقيبة مواقف خاصة فيما يتعلق بالقومية العربية والوحدة المغربية والشيوعية فهو على خلاف عبد الناصر الذى كان يرى أن الصراع من اجل الوحدة العربية والقومية العربية وربط اجزاء الوطن العربى التى تمزقت خلال مراحل التاريخ هو المطلب الاسمى له بينما كان بورقيبة يرى أن هذا ليس أمرا سهلا فهو يؤيد القومية العربية ولكن على اساس أن تكون هناك رابطة تقوم على اساس المساعدات التبادلية وفى صورة اتحاد كونفدرالى كالجامعة العربية وهو لا ينكر ان تونس كانت عربية واسلامية فى حضارتها وتراثها لمدة ثلاثين قرنا من الزمان ولكنه يقول ان مكان تونس الحقيقى هو مع الغرب (*) فهو الذى يدافع عن الانسانية وعن الحرية والعظمة وبرغم كل اخطاء الغرب فانه (اقل الضررين) فالحقيقة ان بورقيبة الذى تعلم فى فرنسا وتأثر بثقافة الغرب واتجاهات حزب اليسار الفرنسى ونمت عاطفته مع الفرنسيين كان لا يخفى استخفافه بما كان يتلقاه المصريون من علوم بالمقارنة بهذه الثقافات ولم يرتح فى مصر والبلاد العربية لانه وجد أناسا يختلفون عنه فى فهم الاستعمار ولم يستطيعوا ان يستفيدوا من استقلالهم ٠

ثم أثبتت حوادث بنزرت سنة 1961 ان بورقيبة لم يكن دائما على صواب فى هذا الرأى وفى اتجاهه نحو الغرب اذ قامت المعارضة ضده فى تونس وهوجم فى تحالفه غير الطبيعى مع الغرب ودفع الى اتخاذ موقف اكثر واقعية وخاصة حينما ابدى عبد الناصر استعداده لامداد بورقيبة بالاسلحة والمتطوعين مما ادى الى انكشاف السحب التى كانت تخيم على الجو العربى لتونس ولكن ليس معنى ذلك انصراف بورقيبة عن فرنسا فقد ظل صديقا لها ولم يفقد ثقته فيها مهما كانت المعارك تشتد معها ٠

وكان بورقيبة يفضل على القومية العربية كما ارادها عبد الناصر وحدة مغربية ، وفى مقدمة الدستور التونسى (الجمهورية التونسية جزء من المغرب

(*) الحقيقة ان بورقيبة يؤمن بأصالة تونس فى عروبتها واسلامها ولكنه مع ذلك يؤمن بمقومات أخرى راجعة الى التاريخ والموقع الجغرافى والواقع العالمى والدولى ٠ والدليل على ذلك ان التشريعات الجوهرية التى سنت فى تونس المستقلة (الخاصة بالمرأة مثلا) اعتبرت النص القرآنى والتشريع الاسلامى وكذلك مآتى العصر وظواهر التقدم التى يتزعمها الغرب (الفكر)

الكبير وتعمل من اجل وحدته فى اطار المصالح المشتركة) (39) وكان يرى أن فى اقامة مغرب كبير يضم كل دول الشمال الافريقى انتصارا للمغاربة وقوة لهم ونموا مطردا (40) ومن اجل تحقيق فكرة المغرب العربى ظل بورقيبة مستعدا لاى مفاوضات ولكسر اية حواجز تقف فى وجه الوحدة المغربية وكان تمسكه بهذه الوحدة وتحمسه لها سببا فى وقوفه مع ثوار الجزائر ومع رجال الحركة الاستقلالية فى مراكش وهو الصديق لفرنسا ، وهكذا فبينما كان عبد الناصر وطنيا عربيا حياديا وضد الغرب فى اعماقه كان بورقيبة يفضل اتحادا مغربيا ويعجب بالحضارة الغربية (41)

وكانت سياسة بورقيبة هذه وتفضيله التعاون مع الغرب سببا فى اتهام رجال الحزب الدستورى القديم وبعض رفاقه من رجال الحزب الدستورى الجديد له بالحزبية والانانية عندما دخل مع فرنسا فى مفاوضات سنة 1954 واعتبروا ان دخوله مع فرنسا فى مفاوضات ومناداته بالتعاون معها انما هو سلوك معوج يتسم بالضعف بل واتهموه بالالحاد واستيحاء مثل الغرب (42).

اما بالنسبة للشيوعية فقد كانت له فلسفته الخاصة فهو لم يؤمن بالكفاح الطبقى ويرى فى الماركسية صورة من صور الاستبداد ويتهم الشيوعيين التونسيين بانهم يفضلون مصالحهم الخاصة على مصالح الوطن (43) ويقول ان الحزب الاشتراكى الدستورى هو منبع الاشتراكية فهو الذى خلق الاتحاد الحقيقى بين صفوف الشعب التونسى وهو الذى قاد كفاح الجماهير من اجل الاستقلال والحياة الافضل وهو الذى طالب بالعدالة ورفع مستوى المعيشة للشعب

---

(39) بورقيبة فى مفترق الطريق (Bourguiba, a sperate Road -) مقال لجاك بولان (Jaque Baulin) فى كتابه The Arab Role in Africa. London. 1962 P. 119

(40) Ibid PP. 118 - 128

(41) Ibid P. 119

(42) أسس المشكلة التونسية . مقال بقلم هنرى دى مونتى فى مجلة La Politique Etrangére فى مارس سنة 1952 نقلا عن : يونس درمونة : تونس بين الاتجاهات القاهرة سنة 1953 ص 70 — 94

(43) الحبيب بورقيبة : حزبنا شاب على الدوام (خطاب بورقيبة الافتتاحى لمؤتمر الحزب السابع فى 9 أكتوبر سنة 1964 فى بنزرت) نشر كتابة الدولة للاخبار ص 53 — 54

التونسى وقضى على الملكية الاستبدادية وطالب ببذل الجهد من اجل الانتاج وبذا فالحزب الدستورى فى تونس اكثر تقدما من الشيوعية وهذا هو الذى جعل الاشتراكية الدستورية فى تونس تكسب معونة الجماهير ومحبتها (44) بينما الشيوعية تكبت الحرية ولا تحمس العامل للعمل لان الفرد بطبعه يريد أن يتمتع بعرق جبينه (45)

ولكن ألم تكن البورقيبية بهذا المعنى وهذا المظهر نظرة شاملة للحياة ، وعملية هدم وعملية بناء فى نفس الوقت • هدم للاستعمار واساليبه وبناء لامة كادت تذوب فى جسد دولة عاتية وفى نفس الوقت تجربة فى حياة أمة نجحت فى تحقيق اهدافها رغم المآخذ التى اخذت عليها والانتقادات التى وجهت اليها ورغم انها كانت فى فترة من الفترات غير مفهومة جيدا لهؤلاء الذين عملوا مع بورقيبة ومن قريب ، ومع ذلك فقد صبر بورقيبة وثابر لانه اقتنع بفكرته وتشبع بمبادئه ، وكان صادقا مع نفسه وامينا مع امته ومع الاستعمار فلم يمتلك الاستعمار فى النهاية الا التسليم ، التسليم بحق تونس فى الحرية والحياة الكريمة كغيرها من الامم • ان الاستعمار فشل فى النيل من بورقيبة وصموده ومثابرته وطول نفسه وكان لا يخشى شيئا قدر ما كان يخشى بورقيبة ولذا فقد قبض عليه الاستعمار وسجن ونفى ثلاث مرات واخرج من بلاده سنة 1945 دون ان تلين له قناة او يفتر له عزم (46)

أليس فى هذا صورة من صور البطولة !!

إنها لتجربة فى حاجة الى الالتفات ومزيد من الدراسة •••

ع• م• ح•

---

(44) الاشتراكية الدستورية • فى لائحة المؤتمر القومى السابع للحزب الحر الدستورى التونسى المنعقد فى بنزرت فى 22 اكتوبر سنة 1964 : أبو المثنى الدكتور عبد المجيد القصاب • رحلة الى تونس • عتبة السلام • بغداد 1965 ص 407 — 417

(45) خطاب بورقيبة فى افتتاح الملتقى الدولى حول الثقافية الذاتية والوعى القومى ••• فى صحيفة العمل • العدد 5768 لسنة 19 مارس سنة 1974 ص 6

(46) انظر الحبيب بورقيبة • صفحات من حياته وجهاده • نشر كتابة الدولة للاخبار والارشاد تونس 1966

لوحة قصصية

الكبسان

بقلم : البشير بن سلامة

فى واد جرحته السيول أخاديد متوازية ومتقاطعة ، ونبتت فيه شجرات الزيتون خطوطا تمتد بعيدة على مدى البصر ، خضراء داكنة ، صامدة تتحدى الزمان والبشر ، شق الطريق أوساعه القميئة ، فى عنت بين الحصى وبثور أرض أثخنت فيها الاحداث وأيادى الانسان .

اخترق هذا الطريق جمع غلب عدد الحيوان فيه الانسان ، وأثارت غباره حوافر حمار ، وأظلاف كبشين ، ومخالب كلب ، وأقدام طفل ، وعصا « الكشتبان » (*) الراكب دابته والمؤرجح رجليه فى إيقاع رتيب ..

قال الكلب وهو فى مؤخرة الركب يسير بجانبه الطفل وكأنه يخاطبه :

ـ هذا الذباب النازل الصاعد فوق ظهر صاحبى أقلقنى كثيرا ، شوش على أفكارى . أتعب عينى وأثارنى . لم أعد استطيب رقصاته منذ ذلك اليوم الذى ضربنى فيه صاحبى بعصاه هذه التى يثير بها الغبار . لم أفهم لم أوجع ظهرى . لقد انشق بلور نفسى وأصابه صدع ، ولم يعد فى الامكان جبره . إن من الاحداث حدثا يزعزع الكيان ويزحزحه عن قراره بدون رجعة وليس أبلغ أثرا فى النفس وأشد إثارة للحيرة من محنة لا تعرف مأتاها . إن الذى يغيضنى فى « الكشتبان » أننى لم أعد أفهم ما يصنع ولا أفقه لردود فعله سببا ، حتى طفله هذا يناله من العصا ما ينالنى ولكنه سرعان ما يعود الى فرحه ولهوه كأن الدنيا أعطيت له هبة يتصرف فيها تصرف المالك لها .

قال الطفل وهو يمرر يده على رأس الكلب :

(*) اسم مستعار لصاحب هذه الحيوانات وفى الاصل نوع من النبات .

ـ هذان الكبشان سألعب بهما وسأزينهما لعيد الاضحى بزاهى الاوشحة وسألهو بنطح بعضهما للبعض · ما أسعدنى !

أجاب الكلب :

ـ إنهما سيذبحان غدا ولست أدرى كيف يسيران الواحد على يمين الحمار والآخر على يساره من دون مبالاة · لو أن لهما ذرة من الوعى لفـرا بعيـدا ، بعيـدا ·

الطفـل :

ـ انظر الى بياض كبش اليمين ما أجمله ، ما أنصعه وسواد كبش اليسار ما أروعه ، إنه مخيف والخوف منه يعجبنى ويحفزنى على مصارعته كالرجـل القـوى ·

الكلـب :

ـ إنه لا يسمعنى ، لم يعد بينى وبينه أى تعاطف فكأن الطفـل فى نفسى قد مات · إن هذه العصا تغيظنى ·

الطفـل :

ـ ولكن الحمار يحبها ، إنه لا يشعر باهتمام أبـى بـه إلا عندمـا يتحفـه بضربات منها ·

الحمـار :

ـ ولكنه يبالغ فى بعض الاحيان عندما يتحول الضرب الى همـز حتى إدمـاء دبـرتى ·

كبش اليمين الأبيض :

ـ ما رأيت أرأف من الانسان بنا ، منذ نعومة أظفارى وتنقلى من راع الى آخر لم أجد أحدب علينا نحن معشر الغنم من الانسان · انظر الى هذا العلف فوق الحمار ، إنه لى ولك يا أخى كبش اليسار الأسود ·

يسكت كبش اليسار الأسود ·

الكبش الأبيض :

ـ مسكين هذا الحمار ، يحمـل سيده على ظهـره وعلفنـا أيضا ويتحمل ضربات العصا · فلماذا لا يقلب كل شىء ويفر · غريب أمره ·

يثغو الكبش الأسود مرة واحدة تثير انتباه الكلب فيقترب من الكبشين ويقـول :

ـ غدا عيد الأضحى ·

يصيح الطفل :

ـ سنلعب جميعا وسأناطحكما وأزينكما فتصيران أجمل كباش القرية وأقواها ٠

الكلب :

ـ غدا عيد الأضحى ٠

الكبش الأسود :

ـ وما عيد الأضحى ؟

الكلب :

ـ هى الذكرى التى ضحى بها ابراهيم على كبش عوضا عن ابنه اسماعيل٠

الطفل :

ـ إنه يحب ابنه كثيرا مثلما يحبنى أبى ٠ إن الأب عندما يحب ابنه يعطيه كبشا ٠

الكبش الأسود :

ـ وما معنى ضحى ؟

الكلب :

ـ الذبح بالسكين الحادة ٠

وتجول فى خاطر الكبش الأسود ذكريات فيها دماء وتلاشى رؤوس من القطيع الذى ترعرع بينه ويقفز فى دماغه منظر لم يوله كثير انتباه : رأس معلق على باب دكان وكأنه رأس أخيه ٠ ويسرها للكبش الأبيض فيهمس له:

ـ إننى لم أر أبدا رأسا للحمار معلقا ٠

ويتأوه الطفل من التعب ويتلقفه والده ويردفه وراءه وينادى الطفل للكلب ويلح على « الكشتبان » صاحب الحمار حتى يضم اليه كلبه ٠

ويتجه الكلب الى الوراء لينظر الى الكبشين من فوق وقد اصبح الكبش الأبيض عن اليسار مغبر الصوف فى لون داكن ، والكبش الأسود عن اليمين وعلى فروته خطوط بيضاء من الغبار ٠

قال **كبش اليسار الأبيض :**

ـ لله در هذا الحمار ، إنه لقادر على ان يحمل الكون كله ٠ لو تدربنا على طباع الحمير لنجونا من السكين الحادة وصبرنا على العصا ٠ ألا ترى أن العصا أهون شرا من السكين ؟

كبش اليمين الأسود :

ـ لا خير فى هذه ولا فى تلك .

قال الكلب :

ـ غريب ! لقد صرت أعمى لا أفرق بين اليسار واليمين . لو سألت الحمار عن هذه الدقيقة ماذا يقول لى يا ترى ؟

ويسأله فينهق الحمار ويضربه صاحبه ويلعن الشيطان ولكنه يقول :

ـ بدعة من بدع الانسان خلقها للتضليل يسوق الناس كما تفنن فى صنع العصا من غليظة الى طويلة الى مذببة . لقد أحصيت من أنواع العصى ما تضيق به الاسفار .

قال الكلب :

ـ لكل داؤه يتوجع به إلا صاحبى « الكشتبان » فلقد أعيانى أمره : لا وجع ولا شكوى حتى فى أحلك الظروف . وامرأته مثله . لقد خلق الانسان خلقا غريبا فهو متقلب الأطوار ، كتوم ، يفجؤك فى كل لحظة بما لم تعهده منه قبل ذلك . كيف لى أن أسلك السلوك الذى يعجبه !

وصل الجمع الى الزريبة وانفصلوا كما ينفصل عقد فسد التئامه إلا الكبشين ظلا فى ركن حائرين .

وفى الصباح سمعا صاحبهما يذكى السكين فى صوت مجلجل مخيف . فانتحى الكبش الأبيض ناحية ووجد لعبة على شكل حمار عظيم اعتاد أن يدخل الطفل فى جوفها ليخيف حمارهم . فاندس فيها وقال للكبش الأسود :

ـ العصا ولا السكين .

فصاح فيه الكبش الأسود قائلا :

ـ هذه حيلة لا تنطلى على صاحبك .

ورأى « الكشتبان » يقترب منهما فانفلت مسرعا وغاب فى الزياتين . أما الكبش الأبيض فقد أخرج من جلد الحمار وسجى للذبح . فأسرع الطفل باكيا ورجا والده أن يبقيه له لعبة وصاحبا . فحل كتافه وجرى يبحث عن الكبش الأسود .

البشير بن سلامة

الكتابة بدم "الحسين"

شعر : محمد أحمد الشهابي

طاميات سفن القلب بوجع الحضور
غائمات فى الوجه الذى يفاوضنى
مطرا دمويا فى كل الفصول
عائدات الى الضفاف بسيد الطير ...
سيد الطير ، عربى الحزن
حين ينقر فى القلب ، ينفر الدم
خشاشا
وأحراشا
وعروساً من وجد العصافير

★ ★ ★

الوقت ...
حبال الحلم تفوح فى مساءات المدائن
جامحات بوابات الحدود
وها ... قرامطة الشام ينتظرون !
ايها النخل المسافر فينا
أنى يكون الزفاف بين عباءات البدو
ووجهى
نكون العروس ترابية الثوب

والوشم :
فهل تحمل لنا النوق عروسكم
ام يظل «العبسى» فينا يركب صهوة النار
والسيف ،
آه تغيم خطوط التواريخ
بين الشمس
والوحل
الوقت تعلن العروس شهوتها
يضيع العبسى فى الحوانيت
تغيب الطريق الى الفحل

★ ★ ★

البحر ··· البحر ···
هل يغسل ثانية مدائنكم الخائنات
ام يظل رأس الحسين منها لا يخرج !··
الثلج
حين يهمى يأتى معه الدم
كصوت الريح
كطعم الحقد
كحد السيف
يأتى الثلج أحمر ··· أحمر !!
فابحثوا بينكم عن القاتل
ابحثوا تحت القمصان بين الترائب
فى حوانيت القبائل
عن « خالد »
عن « عبد الرحمان »
عن « عثمان »
....
« كلم تضعون العمامات »

فأين الخارج منكم
من « الداخل » !؟

★ ★ ★

الياسمين أبيض
وهذا الزمن البكر أبيض
وأنا أكتب فى دفتر الصوت
وفى رحم الجنون العظيم
بأن رياح المدن الخائنات
مكنوسة بالموت
مسكونة بالغيوم
فأين تحط الطيور ... حين تشتهيها افواه البنادق
واين تنط الطيور ... حين تكاشف بالفرار الجميل !
....
أيها البحر المطمئن لوجهى
هم يستحمون بحزنى
يسكنون حارة القلب
وأنا مجذوب فيهم
واعرف حين اعتصم اليهم
يعتم الموج حولى
تضيع السنبلة فى كفى
وهذه السفن طاميات بحزنى
وهذه الطيور الزرق تدخل وقتى
فهل أشتكيك
أم أشتكيهم ؟
ام على جبهة الماء
اظل اكتب بدم « الحسين »
وأصفق للمستحيل !!

م٠ أ٠ ق٠

المقامات اللولوية

بقلم : حسين المغربي

واللولوية نسبة الى كلمة · لو ·· هذه الكلمة العجيبة ، الخفيفة الانيقة . نطقا وكتابة وترجمة الى بعض اللغات الاجنبية ·

فهى فى الفرنسية ـ سى ـ وفى الانكليزية : إف ·

وهى ـ رغم قلة حروفها ـ غزيرة الاستعمال ، كثيرة التداول على الالسنة والاقـلام ·

واستعمالها يتم فى أكثر من موطن ، ولأكثر من غاية ·

ومن مواطن استعمالها وأغراضه · الاستنجاد بها عند العجز ، واللجوء الى شفاء بها لتحقيق ما قد يصعب تحقيقه أو يستحيـل من رغبـات ومطـالب وأمنيات وأحلام ·

وقد تستعمل وحدها · وقد تضاف اليها كلمة أخرى ، خفيفة ، لطيفة مثلها نطقا وكتابة وهى : لا أو لم : فتكونان ـ أحيانا ـ ثنائيا طريفا ، منسجما ·

وهذه عينات تساق ـ على سبيل الذكر لا الحصر ـ من مقامة لولوية ، قد تستغرق ـ لو أطلق لها العنان ـ كتابا كثير الصفحات ·

* * *

① ـ فى الحياة والمجتمع

لولا الاطباء لهلك الناس بالمرض والعلة ·

لولا المهندسون لوقعت سقوف المنازل على ساكنيها فقضـوا تحت الانقـاض ·

لولا المحامون لعجز المتقاضون عن الدفاع عن أنفسهم ، فامتلأت بهم السجون والاصلاحيات ·

لولا الفلاحون لاحتدم الصراع بين الحيوان وبين الانسان على المرعى ·

لولا التجار لحرم الناس من اقتناء حاجاتهم الضرورية والكمالية ·

لولا المدرسون لسادت الامية وانتشر الجهل ·

لولا الفقر لما استلذ الاغنياء لذة الغنى ·

لولا الغنى لما تبرم الفقراء بالفقر ·

لولا الظلم لما كان معنى للعدل ·

لولا الشجرة لما كانت هناك ثمرة ·

لولا لم يأكل آدم وحواء من الثمرة الممنوعة لما أطردا من الجنة ·

لو بقى آدم وحواء فى الجنة لورثنا النعيم الدائم ·

لولا النساء ···

لولا الرجال ···

لولا الرجال والنساء لما كان هناك أطفال ·

لو لم يكن هناك أطفال لما كانت هناك تطلعات وآمال ·

* * *

② ـ فى الأدب والثقافة

لولا الادباء لشاعت بين الناس « قلة الادب » ·

لولا الشعراء لما تبعهم الغاوون ·

لولا الرسامون لما حلقت الشوارب وطالت اللحى ···

لولا المزود والطار لما رقص الكبار والصغار ·

لولا المسرح لما تثقف الشعب ·

لولا التلفزة لما كسدت بضاعة الجدة ·

لولا متحف الاغانى لأتحفتنا التلفزة بتحفة ومشقاص ···

* * *

③ ـ فى السياسة والحكم

لو كنت ملكا لملكت قلوب « الرعايا » ٠

لو كنت وزيرا لحرصت على صيانة الواو ٠٠٠

لو كنت وزير الثقافة لطالبت باضافة صفر واحد الى ميزانية وزارتى ٠

لو كنت نائبا لبعض القوم ، لوجهت كل يـوم ، لائحـة لـوم ، تذهـب عـن الحكومة الراحة والنوم ٠

لو كنت قاضيا لقضيت بما تقتضيه مقتضيات القضاء ٠

لو كنت خطيبا لخطبت ود الجماهير ٠

* * *

④ ـ فى الجائزة الصحفية

لولا طمعى فى الجائزة لما شاركت فى مسابقة أحسن انتاج صحفى ٠

لو كانت لجنة التحكيم كفأة ونزيهة وعادلة لأسندت الى الجائزة الاولى فى تلك المسابقة ٠

لو أسندت الى الجائزة الاولى لحصل ارتيـاح كبيـر فى جميـع الاوساط الصحفيـة ٠

لو لم تكن المقاييس والمفاهيم مقلوبة فى أذهان أعضاء لجنة التحكيم لكنت الفائز الاول فى تلك المسابقة ٠

لو أحرزت الجائزة الاولى لحضرت حفل التكريم وتوزيع الجوائز ٠

لو أنصفت جمعية الصحافيين لأسندت الى جميـع العـاملين بالصحـافة جوائز « مالية » تقديرية وتشجيعية ٠٠٠

لولا الوفاء للحرف والكلمة و « الجملـة المفيـدة » لما ساهمت فى العمـل الصحفى ٠

لو لم يحف القلم لطالت فقرات هذه المقامة ٠

لو كان بين القراء من يريد مواصلتها فليفعل ٠

لو لم ترق لقارىء قراءتها فليقرأ عليهـا الفـاتحة ، إن كان مـن « غيـر المغضوب عليهم ولا الضالين ٠٠٠ آمين » ٠

ح٠ م٠

السندباد ... والحمامة

شعر : احمد المختار الهادي

عيونى شدها التذكار سمرها وراء زجاجي الغافى الى أمس تداعى شكله المنهار
ذات عشية حبلى بأشواقــى
الى ما لست أدركه بأعماقــى
ضباب هذه الأيام يا قلبــى
أنا ودعت أشيائــى
وإعيائــى ...
فما جدواى فى دربــى ...
أنا أهملت أزهــارى
وسرت لغير ما هدف وضد الريح قد بددت أفكارى
معى حس قديم رسب الآلام تاريخا بأشعارى
ولازمنى وسهرنى ودوخنى ومزق كل أشفارى
ولكن العزاء الأوحد الباقــى
تقاسم وجهى المشبوه خدرنــى
وحطمنــى ودمرنــى ..
وشوه كل إحساســى باشفاقــى

* * *

أراك هنا أراك وصفحة المنديل بيضاء
أراك ومنى الاشواق إعصار وصحــراء

ضباب دربك المغروس بالحجر
فكيف يسيل لحن الحب من وترى
أنا يا سندبادى ها هنا أعشت عيونى الريح والمطر
فكيف ترى سأنتظـر ٠٠؟
وعمرى آه من عمرى الذى أودى به السفر
فماذا الآن أنتظر ٠٠؟

* * *

رب انا التقينا ذات أمسيه
وضمدت الجراح بنا حكايات خرافيـه
فهل ينسى خطانا التيه والتعب
ونحن هنا بهذا الشط طفلان
غريبـان ٠٠٠
وأدمعنا من الأعماق والأحداق تنسكب
فماذا الآن نرتقب ٠٠؟

* * *

جميل أن أراك كوردة بيضاء فى حقلى
يغازلها النسيم الحلو هفهافا فتغسل وجهها النعسان بالطل
وتمسح بالشذى الوردى أتعاب المسافات
وتفتح حضنها للحب والاحلام والآتـى
فماذا نحن نصبح لو ترى نحيا بلا أحلام ٠٠؟
ستمحونا وترفض شكلنا الأيـام

* * *

أراك على مسافة جرحنا الممتد أغنيـه
أراك حمامة سمـراء بريـه
تغنينـى
وتطعمنى وتسقينـى
وتفتح حضنها المشبوب للقيا
وتبدأ فرحة الدنيـا

أ ٠ م ٠ هـ ٠

نعيش ونربي كريش

بقلم : مصطفى الفارسي

ما انفكت القصة القصيرة تثير التساؤل لا من قبل النقاد ـ وهم كما نعلم فى حاجة مستمرة الى التاطير والتحديد ـ بل من الكتاب انفسهم وممن يمارسون منهم فن الاقصوصة بالذات . ذلك ان الاعمال الروائية اثبتت بما فيه الكفاية أنها كثيرا ما تكون مطبوعة بطابع الغرور والاعتداد عندما يبلغ الطموح ببعضهم مبلغ الادعاء بان فى امكانه أن يعرض فى روايته لكل شىء وان يحيط بكل دقيقة ويجمع كل شتات ويضم الحياة بما حوت ويغطى احداثها ويسبر اغوارها ومكنوناتها فى طيات كتاب .

والى جانب هذا الزهو الذى لا حدود له وعلى نقيضه تماما يبرز التواضع الذى يتحلى به كتاب القصة القصيرة فى غير افتعال ولا تكلف . فكأنما الاعتدال سجية من سجايا هذا الفن من فنون التعبير ـ وهى كثيرة ـ الذى هو بحق فن السكوت لانه فن الايجاز .

لكن التونسيين لم ينصفوا كتاب القصة القصيرة انصافا يخرجهم من ظلمة المغمورين فيبوؤهم بعضا من المكانة التى يستحقونها ... ونعلم انها مكانة لم يكتسبها بعد فى نظر «أساتذتنا المحترمين» من نقاد وحتى من مدرسين لا كتاب القصة ولا كتاب الرواية ولا كتاب المسرحية ... الى عهد غير بعيد . التونسيون اذن لا يعترفون بقيمة الايجاز . والاقتضاب فى نظرهم بتر والعبرة عندهم بالفيض بالكثافة بالسيول تنهمر ... اى بالروايات فى اجزاء وفى مجلدات ... فى الثلاثيات والرباعيات ... فيما يملا العين ... يسمن ويغنى من جوع . عند الحاجة بطبيعة الحال ... لان التونسى لا يقرأ كثيرا .. لكنه كمدمن الخمر يطالب بالعديد من الاطعمة ولا يصيب منها الا نزرا .

والحال ان القصة القصيرة « كالمزى اللبنانية » فيما قـل ودل ٠٠٠ من شأنها أن تتلاءم مع الاذواق الميالة الى التنويع مع التوفير ٠٠٠ فنحن فـى عصر السرعة ٠٠٠ ومن الكلام ما تطغى عليه الثرثرة ٠

القصة القصيرة فى نظرى هى فى نفس الوقت حكاية تروى ولوحة رسم تعبر بالوانها عن حالات نفسية ونبرات شعرية لقصيد لم يكتب ٠ فاذا احتوت القصة على هذه العناصر جميعها كانت آية ٠٠٠ وكتب لها ولصاحبها الخلود٠ وقلما يبلغ الكتاب عندنا ـ وعند غيرنا ـ هذه المرتبة ٠ لكنهم يسعـون وفى سعيهم ذاته معجزة٠ تتمثل فى توق الانسان الدائم الى محاكاة عملية الخلق الاولى ٠٠٠ ونعلم ان الانسان من علق وان الكون وليد سبعة أيام ٠٠٠ لا سبعة اشهر ولا سبعة اعوام ٠

والقصة القصيرة عند اخينا العروسى المطوى (1) فى اختصـار مشاهدها وتركيز الانطباع فيها وجزالة لفظها وقوة اسلوبها ٠ وهو يـرد الظـاهـرة المميزة بين ما كتب من روايات وما كتب من أقاصيص الى طبيعة كل مـن الانتاجين :

« فبقدر ما تكون الرواية تعنى بالتفاصيل والجزئيات تعنى الثانية باللحظة واللفظة دون ان تفقد الاقصوصة الشحنة الذهنية المعوضة حتى يكـون لهـا مـن الايحاء ومن التاثير ما يكون للرواية أو القصة الطويلة ٠ ولن يتم ذلك الا اذا كان للاقصوصة من الشحنات الموحية ما يعوض مكاسب الرواية فى هـذا المجال »٠

نعود هنا الى الايجاز الذى قصده الجاحظ فى « بيانه وتبيينه » بالاشـارة التى تغنى عن الكلام مقترنة بالخط اذ « القلم ابقى اثرا واللسان اكثر هذرا ٠ واللسان مقصور على القريب الحاضر بينما القلم مطلق فى الشاهد والغائب » ٠

أما رشاد الحمزاوى فقد ادرج تجاربه القصصية فيما سماه بادب « المحنة والبدعة » ويضيف الى تحديده هذا ان فى المحن والبدع المعروضة فى مجموعـة ـ طرننو ـ تعيش وتربى الريش ـ « ما يفوق كل زعم وكـل ادعـاء يتـرك امرهما لاهل الذكر من مؤرخى الادب العربى بتونس »

---

(1) راجع عدد 2 من الملحق الثقافى لجريدة (بلادى) بتاريخ 1 فيفرى 1977/ « فنجان شاى مع ٠٠٠ » ٠

هذا ما دفع بعض الكتاب التونسيين الى خوض مغامرة القصة القصيرة ٠٠ وانها لمغامرة بحق باعتبار ما يلاقيه ممارسو هذا الانتاج من غبن ومن استنقاص

وقد رأيت أن اعرض فيما يلي لبعض أقوال كتاب معاصرين فرنسيين عن القصة القصيرة ٠ تيسيرا لفهم الوضع عندنا بالمقارنة بما يجرى وراء حدودنا فى نفس المجال ٠

يرى مانديارق A. P. de Mandiargues أن القصة القصيرة لها القدرة الكافية على وضع القارىء فى موقف يجعله يقبل كل شطط وكل افراط من حيث المضمون وكل التجارب اللغوية حتى ما شذ وابتدع من حيث الشكل والاسلوب ٠ وهذا بالذات ما يميز القصة القصيرة عن الرواية ومانديارق لا يفصل « الحكاية المقتضبة » عن القصيد النثرى وهو فى تأليفه يقتفى اثر الكثير من الكتاب الالمان والفرنسيين الذين ذاع صيتهم فى القرن التاسع عشر ٠ ويذكر من بينهم : هو فمان وآرنيم ونرفال ومريمى وبالزاك وفلوبار ٠ وينتمى فى فنه الى النزعة الرومنطيقية الابتداعية ويعتقد ان الكاتب عندما يشرع فى انجاز مشروعه القصصى يحاول فى واقع الامر ان يحصل لنفسه وبالتالى للقارىء على تأثر هو اشبه ما يكون بالشعور الذى يطغى على الانسان عند قراءة اثر محمس مهيج للنفس ٠

وتقول كورينا بيل Corinna Bille انها تؤثر كتابة القصة القصيرة على كتابة الرواية لانها لا تتحمل الانتظار معدمة الصبر برمة بطبيعتها ٠ والقصة القصيرة لا تتطلب الكثير من الوقت ٠٠٠ ثم انها تعتمد الصدمة وكل انواع المفاجآت ٠ والكاتبة من طبيعتها ايضا ميالة الى الغريب والشاذ والمحير وكل ما يستعصى أو يستحيل حله والخروج منه بسلام ٠

اما بيار بوى Pierre Boulle ــ وهو من عشاق الكتاب الانقلوساكسون وفى طليعتهم جوزاف كونراد Joseph Conrad وايدقار بو Edgar Poe ــ فانه اعتاد ان يبدأ قصصه القصيرة من نهاياتها ٠ بحيث يعلم مسبقا اى المقاصد يقصد واى السبل سيسلك ٠ ولا يمنع ذلك أن يحتل عنصر المفاجأة فى آثاره ــ وبصورة عرضية تلقائية ــ مكانة بارزة وانه لا يفهم ولا يبرر الظاهرة التى تكاد كونية والمتمثلة في عزوف القراء عن القصة القصيرة واقبالهم المفرط على الرواية القصصية ٠ ويلاحظ أن اليابانيين وحدهم يحلون القصة القصيرة المكانة التى تستحقها ٠ فهل يلبس اليابان عصرهم أكثر من سواهم ؟ ربما ٠٠٠ لكن ما نعرف عنهم بصورة لا تدع مجالا للشك ٠٠٠ هو

انهم قوم رهيفو الشعور رقيقو الاحساس وانهم من عباد الانوار والالوان ٠ هذه بعض الخواطر عن القصة القصيرة فى تونس وفى فرنسا وأعلم ان لكل رأيا فى هذا الفن الذى يأبى التحديد والتأطير ٠ فنظرة الكتاب العرب المعاصرين ونظرة الامريكان أو الروس الى القصة القصيرة تجعلنا نجزم بصورة مطلقة قطعية أن لا مكان لاى مذهب ولاية طريقة ولاية معالجة مثلى فى هذا الفن المتصل أساسا بطبيعة كل فرد وبزاده الثقافى وبما يميز حضارة قومه وربما مناخ منبته ومحط رأسه ٠

فان ما يحبب الى شخصيا تعاطى « صناعة » القصة القصيرة هو انها قبل كل شيء حكاية لكنها حكاية لا يمكن الفصل فيها بين المعانى والكلمات التى تعبر عنها ٠ فهى كالقصيدة الشعرية تتطلب الايقاع والتواتر والاتزان والتركيز والتوحيد والتركيب ٠ أحبها لانها تفرض على صاحبها لغة حية دقيقة محسوسة ثابتة ولان ما تعبر عنه يطابق تماما طريقة التعبير عن المقاصد ٠ ولانها خفيفة الروح لا تتحمل الحشو والزبد والفراغ الجامد ولانها لا تعبر بصورة مباشرة وشعورية مقصودة عن مشاغل كاتبها القارة ولا تفسر ولا تصرح الا بمقدار اذ تترك لكل قارئ حرية تحليلها حسب هواه وفى مستوى واقعه المعيش يوميا ٠ أحبها لانها تعرض ما تحويه ككل لا يقبل التجزئة من شأنه أن ينفذ الى الشعور جملة لا تفصيلا ٠ وأحبها لان باستطاعتها أن تدرك وتجعل الناس يدركون مدى ما فى الكون من تناقضات ومن عبث ومن الزامية ومن ابتذال ومن سخافات ٠٠٠ من كل ما لا يليق ولا يشرف ولا يقبله عقل ولا يستسغيه منطق ٠ فكل هذه النقائص والآفات تؤثر فى نفس الشاعر وتشحذ احساسه وتحفز خياله ٠ لان الشاعر يمج التافه والضحل والمكرور والمجرور ، كل كسر وكل علة ٠

أحبها لانى شاعر يكره قيود الشعر فلا يكتب ما اعتاد الناس ان ينظموا من شعر٠ وأحبها لانى اعشق «الخرافات» التى كانت تملأ أسمار أهلى وأحبها لان النكتة الطريفة ضرب من ضروب المطلق الذى يتناول الحياة بعنف وقسوة ويخلق المأساة ٠

واحب القصة القصيرة لانها تمثل ما فى الوجود من إشكال ومن مسالية ٠٠٠ والشك بداية اليقين والوجود فى الشك ولا يقين ٠٠

والقصة القصيرة هى الملاذ الوحيد الذى بقى للنشر أن يلوذ به ليظفر بالطريف والغريب والطارئ سواء فى مستوى العلاقات الطبيعية العادية

(تشيكوف) أو فى مستوى الصراع الاقصى (ساد) أو فيما يتصل بخوارق الاحداث ومتاهات الاشباح وكل الاخاديع السمعية والبصرية . (كافكا)

وهل من فن ـ سوى القصة القصيرة ـ يسمح لك بتحليل الحوار الداخلى الذى يجريه مع نفسه الفرد ساعة القنوط المطبق عند الشعور بذروة الفراغ وهو معلق بين الارض والسماء ورأسه الى أسفل والناس من تحته كالنمل فى سعى لولبى شبيه بتموج الديدان على صدور الرمم ؟ وهل من فن ـ غير القصة القصيرة كان يسمح لرشاد الحمزاوى ـ مثلا ـ بتصوير الانسان البعوضة والعملاق فى نفس الوقت وهو يقف فى مهد الوادى الحرافى متصديا كالصنم المسمر فى اعماق الارض فاتحا فمه ملتهما النهر التهاما شافيا غليله من الغيث المتمنع ؟

فمتى ... متى يا ترى يفكر أساتذتنا المحترمون من نقاد ومن مدرسين فى ضم بعض القصص التونسية فى مجموعات تنقل فى مرحلة ثانية الى اللغات الاجنبية الحية ؟

م . ف

9 فيفرى 1977

لا شيء، سيدي

قصة : عبد الله خليفة

وانتظرت ، انتظرت حتى تضخمت الساعات ورسمت الايام المتثاقلة على جبيني آثار مرورها البطيء المرهق • وبدأت أمسيات الريف تحاصرني ثقيلة الوقع ، شاسعة كالصحراء التي تطوق القرية • كان الماضي – في الايام الاولى – وجودا رحبا وحسا دافئا ثم ما لبث أن استحال الى سراب فاجع • الايام المضيئة تعتمت ، شربت ألقها سباخ الغربة الآسنة • قبل هذا الانتظار القاتل كنت قوى الخيال كمحضري الارواح •

أسكر بعطر الشعر وهفهفة الخصلات الداكنة ولا شعر ولا عطر ولا هفهفات !

استرخى في سواد العين الفراتي وأنا أحدق في السطح تذرعه هوام الليل وأسراب الذباب ! وكنت أمسك اليد الناعمة وهي ترف كأجنحة النوارس ويدى فارغة ، مجوفة القبضة ! وكنت أسمع دقات الكعب الموقعة والصمت الريفي يحفرني ! كنت مكتفيا بذاتي في قرية يحاصرها الحرمان وأخال أن ما اختزنته من نسغ الذكرى لن يجف •

وهذا الصباح أفقت باكرا • الجارات الريفيات أغلقن الابواب في وجه هذا الوقع الذي وقف مسمرا أمام باب منزله • كنت انتظر ساعي البريد • وبعد نصف ساعة سيمر من هنا ، وفي حقيبته زهر وموت !

« متى ينظر المرء خلفه ؟ متى يقول للاشياء المبحرة عودي ؟ لماذا نظر « أورفيوس » خلفه ؟

قالت « هانية » احدى تلميذاتي الخاملات : – عندما تسجنه قضبان الغربة – واتسعت جدران الفصل وامتدت السبورة السوداء امامي بحرا مظلما

معتما . رحلت الطاولات والكراسات والاقلام وعيون الاطفال المكحلة بالبراءة . الاشياء تتفكك وتندمج مادة ولونا وحركة . أخذت قطعة طباشير لارسم على السبورة وجه امرأة غائم القسمات وكنت أريد أن أكتب : الغريب لا مبدأ له . ومرت لحظات قبل أن يعود « سيدى العاشق » من غيبوبته وتحديقه الجنونى . كان أمامى بستان تزهر فى أرجائه أربعون ابتسامة صغيرة ساخرة . « هانية » وحدها مكثت مرتخية ، تقلب نظراتها فى الفراغ !

« لم تخدع نفسك ؟ « سهام » قبل المبدأ . وأمس تحدثتما فى الحب والمبدأ » . قال أحمد :

ـ « الأولوية فى هذا الريف لجسد المرأة . وأقول « جسد » لان الحب هنا ترف . ولا يعتنق الفكر المبدأ الا اذا ارتوى الجسد . المبدأ ثقافة وكسب والمرأة غريزة . ونحن نلد بغرائز لا بمبادىء . الاصل هو الجسد والباقى أعلاق وأحساك » .

وعندما قلت له انى لا ارى فى « سهام » جسدا فائرا فحسب ابتسم وقال :

ـ أنت غر وورومنطيقى... المثالية شبح الجسد الممنوع . ولا دخان يرتفع الى السماء دون نار . قل لى : ما الذى يلح على ذاكرتك من هذه المرأة ؟

قلت :

ـ تلك اللحظات المشبعة بالاطمئنان . كنت اذا رأيتها قادمة أحسست أنى أتمدد على مرج أخضر أو أركب طيف حصان ...

قال :

ـ ما اتعبك الا الجسد ، الجسد اللعين .

واندفع يصفر صفيرا حادا رددت صداه جدران القرية الوحشية .

« كنت و « سهام » على البحر . « سهام » حمامة ملتهبة الجناحين ، نهداها النافران يضربان الموج . يزحف البحر ،شرسا غاضبا وعند صدرها الرحيب يكظم غيظه ويمتص زبده وينداح حول خصرها الرهيف كأنه فراء القطط الاليفة النائمة . »

« لا بد من مرور وقت طويل قبل أن تألف العين الظلام ويلتئم الجرح الراعف بالالم . »

هذا ساعي البريد يمر كعادته في موعده المعهود ، هز رأسه بالتحية المجهدة ومضى ! حقيبته تلوح من بعيد فارغة لا قيمة لها ، وخطواته المثقلة تشي بالضجر لم يكن يدرك معنى مروره أمام بابي كل صباح · لا يرى في ذلك سوى روتين تفرضه المهنة التي أكلت شبابه وأحنت ظهره ·

ــ « لا شيء ، يا سيدي » · ما باله نسي أن يلقي جملته الفارغة المألوفة · مر صامتا ، متراخيا ·

ــ « لقد أعياني التحديق في وجوه الناس ، سيدي ، أنا رجل عجوز ، وقريبا سأتقاعد لأتنفس واستريح ·· خط رديء لا تفك طلاسمه الا جنون سيدنا « سليمان » ، أسماء غريبة ، طوابع ، حبر وورق ، حوالات برقيات زواج ، برقيات وفيات · لم يتزوج الناس ويموتون واتعب أنا ·· »

وأكاد أصرخ في وجهه المغضن : « وسهام » ؟ لماذا خنقت الصوت الملائكي الى الابد ؟ وما تراه يعرف عن « سهام » ؟ امرأة نكرة تكتب اسمها وعنوانها على الجانب الخلفي من الظرف بخط متسرع ورديء · ومع الايام ستصبح « سهام » في ذاكرتي نكرة ايضا ، ولكنها نكرة كثيرة اللوعة ·

« وذاك المساء ، أمسكت يدي وحدقت في عيني عميقا حتى لفني الاغماء · ثم قالت : « دائما تسير الامور على هذا النسق : ستقول : سهام حب لا يعدله الا الموت · ثم ستقول : « سهام » فتاة رائعة ولكن الدنيا حظوظ · وسوف تقول : أتذكرها · ثم سوف تقول : هذا الاسم ليس غريبا على تماما · وسوف تنتهي الى القول : « سهام » !! من ؟ لا أذكر امرأة تحمل هذا الاسم » ومسحت دمعة تأرجحت على الاهداب · كانت عيناها ذاك المساء مخضلتين كالبحيرات يغرق فيها المساء · وكانت أهدابها ذاك المساء غامقة السواد ، كثيفة ، معجونة بالدمع كسعف النخل المحمل بحب المطر ·

وعندما اطمأن رأسها الموتور عند كتفي ملأني شعور قاهر بالعدم · تلك كانت بوادر الشعور بالغربة وبداية نهاية الاشياء · الاغنية التي كنا نسمع استحالت الى صراخ غريق والنغمات النشوى اكتنفها ألم لا حدود له » ·

وكتبت لي « سهام » حدثتني عن رجل جديد عرفته ذات يوم في الحافلة كما حدثتني عن وحدتها وسألتني عن النساء في الريف وعن لون عيني وطول قامتي وقياس حذائي ···

وكتبت اليها « رسائل من الريف » وحدثتها عن تلاميذي والصحراء والصمت والمبدأ · وسألتها عن حذائها الصغير وعن وقع خطواتها وعن معطفها الاصفر الجميل ·

رسالتها الاخيرة كانت جدية أكثر من المعهود ، كتبتها بعناية فائقة واسلوب يبدو انه قد كلفها كثيرا من الاجهاد والبحث ٠

٠٠ « كان المبدأ يزيدك رجولة ، وعندما كنت تتحدث عن الفقراء في بلدنا كان وجهك يمتلىء بوهج صوفي مشوب بحدة جنسية ٠ لكأنك احتضنت كل هموم كل الذين عاشوا معوزين منذ أن كان الانسان على الارض ٠ وكنت أنا ، مثل النساء في بلدنا ، خائفة أبحث عن رجل يحميني ويوفر لي الاطمئنان ٠ ووجدتك لا تعتقد أنك الوحيد ، كان يمكن أن أتعلق بقاتل او لص ، المهم أن أجد من التجىء اليه حين يتحرك الخوف القابع في أعماقي ٠٠ »

« لكنك اخترت أن تذهب الى الريف ، ولعلك تذكر كلمتك التي كنت ترددها وأنا الهث من أجل بقائك قربي ٠ كنت تقول : « أريد أن أعيش بين الفلاحين لأدرك معنى البؤس في العيون الجائعة ٠٠٠ » ٠ كان منطقك يثير سخريتي ولكني أخفيت عنك مشاعري ٠ فالفقراء ، عزيزي ، يوجدون في المدينة كما يوجدون في الريف ٠ ولكنك أمعنت في عنادك ٠ وكان العناد لونا آخر من ألوان السحر فيك ٠٠٠ فلم رفضت أن تبقى قريبا مني ٠ لا أجد جوابا آخر عن هذا السؤال سوى انك أحسست بالغرق في العادة وانعدام الحدث ٠٠ »

« أصارحك أني بدأت أتغير ٠ اني امرأة في عز الشباب وأشعر بالحاجة الى صدر عريض أغوص فيه عندما يزحف البرد على جسدي ويقصف الرعد في ليالي الشتاء المظلمة ٠٠ »

« ـ ماجد الذي كنت حدثتك عنه في رسائل سابقة يبذل ما في وسعه لكي يظفر باعجابي ٠ انه رجل جذاب وقوي ٠ عيناه الخضروان الشبيهتان بالشطآن الليلية تشعان توقدا وعنفا رغم طيبته المفتعلة والحياء الذي يريد اضفاءه على شخصيته ٠ اني على يقين أنه في اعماقه ثور هائج لا تملأ عينه امرأة واحدة٠ أمس ذهبنا معا الى السنما ٠ كان المطر يغسل شوارع المدينة وبناياتها ٠ الفلم كان شبيها بما يحدث بيننا هذه الايام ، سأروي لك قصته ولا تضع نفسك موضع الجلاد والضحية في آن واحد ٠٠٠

« منح الجندي الروسي « فلاديمير » اجازة قصيرة بعد بطولات خارقة أنجزها على الجبهة ٠ لم يكن أمامه الا اسبوع ومع ذلك فهو يجد نفسا مجبرا على العودة الى قريته « السيبيرية » البعيدة ليرى حبيبته « كلارا » وبدأت الرحلة الطويلة الشاقة ٠ ركب قطارات الجرحى المحجرة والشاحنات المحملة بالمؤن والبغال ٠ ولما وصل ، وجد « كلارا » قد علقت على باب شقتها بطاقة كتبت عليها « السيدة ديميتروف » ٠ كانت قد تزوجت ٠٠ »

« .. قد يخامرك أنني شعرت بالندم وأنا أتابع صور الفيلم الملطخة بالدم والسواد . نعم ، حدث هذا ، ولكن « ماجد » كان كثبان رمل شبيهة بتلك التي تصفها في رسائلك امتصت كل أملاح الندم ... »

« انى لا أستطيع مصادرة عواطفي ، فهذا يفوق ارادتي . وكلما ازداد « ماجد » منى قربا بعد شبحك . أتعرف أني أعجز أحيانا عن احياء تلك اللحظات السعيدة التي عشناها معا ، بل اني لا أقدر على استحضار ملامحك الا اذا استعنت بصورة من صورك .. » .

سأكتب لك رسالة أخرى وربما اثنتين لاني لا اريد أن أقطع كل الجسور ولان أصداء الماضي وان بدأت تتناءى فانها ما زالت على كل حال اصداء ، ولان اللحظات الرائعة كالياسمين تفقد رائحتها ولكن يبقى منها في الجو وهم العبير . أن الحياة السوية تفرض حدوث شيء حتى ولو كان خيانة .. » .

عاد ساعي البريد من جولته الصباحية . كان الاندهاش يغطي وجهه المكدود وهو يلحظني جالسا حيث تركني منذ ساعتين . تحرك شارباه الكثيفان الابيضان بما ينم عن المشاركة والتعاطف . قال :

ـ « لا شيء ، يا سيدي » .

هذه اللاشيء تكبر ، تتسع ، تتحول الى بنزين يزيد في مساحة الحريق ولهيبه نطقها هذا اليوم بلهجة جديدة تماما . تعود أن يضغط حرفي اللام والشين حتى أشعر بهما ينزان فراغا وألما ولكنه ، هذه المرة أجهد عضلات فكيه فكاد يبتلع بعض الحروف ، وفارق آخر : تمهل في التفوه بكلمة « سيدي » ، حتى رأيت شفتيه تنفرجان وتستديران وهو يخرج الكسرة . وصمت ، فلاحت السماء خلفه صافية ، موحشة الزرقة وامتد سكون الريف ثقيلا أبديا . قال :

ـ « وددت لو أحملها لك ، أقصد هذه الرسالة ، مثلك كنت أنتظر تقاعدي ، وهذا الصباح فقط اتصلت بالقرار .. »

أخرج من جيب سترته ورقة زرقاء ، فتحها ثم طواها دون ان يترك لي مهلة قراءتها . قال وهو يهم بالانصراف :

ـ « غدا أترك الحقيبة العجيبة والوجوه المحتقنة المتوترة » .

نظرت في وجهه . لم يكن صادق الفرحة كان ثمة شعور واحد يملأ ملامحه المتعبة : الشعور بنهاية الاشياء .

ع. ا.خ.

العرب والعربان

في «اتحاف أهل الزمان ...» *

بقلم: رياض المرزوقي

يعد كتاب (الاتحاف) رغم صبغته التقليدية فى التقسيم (حسب عدد الملوك ، والسنوات) مما يجعله قريبا من الحوليات ، او ما يسمى بالاجنبية Chronique كتاب تاريخ اولا وبالذات ؛ لكنه يصطبغ كذلك بصبغة اجتماعية وثائقية واضحة ، فالقارىء له يخرج بصورة عامة واضحة عن المجتمع التونسى فى القرن التاسع عشر ؛ وهذه الناحية ، وان لم نكن أول الخائضين فيها (1) ، مازالت تشكو بعض الاهمال ، لان الاهتمام الى اليوم انصب على القيمة التاريخية (للاتحاف) وشخصية ابن ابى الضياف المؤرخ

وان الناظر الى التكوين الطبقى للمجتمع التونسى فى القرن التاسع عشر من خلال كتاب (الاتحاف) يلاحظ ما يلي :

1 — قلة التناسق في تكوينه الهرمي : فالباى وحوله الحاشية المكونة من المماليك فى الغالب وقلة من اعيان « أهل البلد » ، ثم رجال الدولة من موظفين ومسؤولين ، وكبار التجار و « الصنايعية » ، وتفصل بين هؤلاء والعامة « الرعاع » هوة سحيقة .

---

* هذا تلخيص لبحث أعد فى الاصل للملتقى « ابن ابى الضياف » :

(1) من بين الابحاث فى هذا الموضوع نذكر :
البشير التليلي : دراسات فى التاريخ الاجتماعى التونسى فى القرن التاسع عشر — تونس 1974 (بالفرنسية) .

2 ـ قلة التجانس العرقى : فالاصول المكونة للافراد متباينة : من عرب ، واتراك ، وشراكسة ، ويهود ، وبربر ، عدا ما يحدث من تزاوج بين بعض هذه العناصر ٠

3 ـ انفصال جلى بين سكان المدن ، وسكان البادية ، وقد شجع على ذلك احتكار العواصم (تونس ، سوسة ، القيروان ٠٠٠) للحكم ، واكتفاء من يعيش خارجها بالخضوع للاذى ٠

ويمكننا بصفة عامة ، وانطلاقا ، من نظرة خلدونية ، قد يكون ابن ابى الضياف انطلق منها ، أن نصور المجتمع آنذاك كما يلى :

المدن	1 ـ المماليك		
	الاعيان	أهل الذمة	يهود ٠
			مسيحيون ٠
	2 ـ التجار والصنايعية		
البوادى	3 ـ الفلاحون		
	4 ـ الجبالية		
	5 ـ العربان		

وقد اخترنا الحديث عن هذه الطبقة السفلى اجتماعيا ، واقتصاديا وسياسيا لسببين :

الاول ـ أهميتها فى تحريك سياسة البلاد ٠

الثانى ـ حظوتها عند ابن ابى الضياف الذى لم يخف تعاطفه معها كما سنرى ٠

• العرب والعربان :

ننطلق من تعريف هذين الكلمتين فى (الاتحاف) ، وهما يفيدان نفس

المعنى (2) ، اى البدو الذين يعيشون اساسا من دعى القطعان ، وبسبب قلة المرعى او الضغوط المركزية (حملات جباية ، أو قمع ۰۰۰) يتنقلون باستمرار ، وربما اجتازوا الحدود ، وقد يشتغل بعضهم بفلاحة محدودة او موسمية ، أو ينضم الى المخازنية والجيش ، والصحيح هنا غالبا يضم ۰

وسبب هذه التسمية يعود ، كما هو بديهى ، الى ان اغلب اصول هذه القبائل عربية ، وقد تركزت وتدعمت مع الزحف الهلالى ۰ وان كانت الكلمة نفسها لا تخلو من نبرة احتقار عندما ينطقها ساكن المدينة ، ولعل بعض ذلك مازال موجودا ! وربما شملت التسمية كل من لا يقيم فى المدينة ۰

ومواضع ذكرهم فى (الاتحاف) متعددة ، وخاصة فى حديث ابن ابى الضياف عن الثورات والفتن ، كما يتجلى فى انتفاضة على بن غذاهم سنة 1864 ، او النكبات كالاوبئة ۰۰، اى اننا نجد ذكر العربان ، بعبارة اخرى ، فى الصفحات السوداء من (الاتحاف) وما اكثر هذه الصفحات ! (3) ۰

◆ علاقة العربان بالسلطة المركزية :

ان حديثنا عن هذه العلاقة ، فى الواقع هو عين حديثنا عن علاقة العامة بالدولة ، او الفلاحين بها ؛ وهى علاقة ذات اتجاه واحد ، فالمسير لا يتذكر وجود المسير الا زمن الحاجة اليه ، وخصوصا عند الجباية ، وقد نقل لنا ابن ابى الضياف تصريحات رسمية لرجال الدولة فى هذا المعنى كقوله (6 : 55) « ۰۰ وباى المحال هذا يصرح عننا بأنه لا يقود العربان الى جادة الطاعة الا ابتزاز ثروتهم ، وسلب نعمتهم ۰۰ » وهو مصداق المثل العربى القديم : « جوع كلبك يتبعك !۰ » ؛ وكانت الدولة ترى قدرة هؤلاء العربان على دفع الجباية ، ولو كانت مجحفة ، لما كان يتردد من ان العربان اثرياء ولكنهم يدفنون اموالهم ، ويتظاهرون بالفقر ۰ (5 : 113)

---

(2) انظر مثالا لذلك فى (الاتحاف) ج 5 ص 134 ، وتستعمل فيه لفظة (عرب) فى معنى (عربان) أو (بدو) بصفة جلية ۰

(3) من بين المواضع التى اشير فيها الى العربان نذكر :
1 : 21 ـ 2 : 113 ـ 162 ـ 3 : 32 ـ 5 : 126 ـ 127 ـ 134 ـ 138 ـ 139 ـ
6 : 34 ـ 35 ـ 36 ـ 55 ـ 56 ـ 57 ـ 63 ـ 89 ـ 90 وغير ذلك كثير ۰

وكان رد فعل العربان التظلم ، والتشكي ، والتساؤل عن وجوه صرف اموال الجباية ، كما صرح بعضهم عندما رأى الابراج مهدومة : « في اى محل تصرف هذه الاموال المأخوذة منا ؟ » (5 : 127) ، ثم في مرحلة ثانية الامتناع عن الاداء ، والمجاهرة بذلك (5 : 120) ، وأخيرا اللجوء الى المقاومة المسلحة .

وقد زاد الطين بلة ، طريقة الاتصال بين الجهات والعاصمة المركزية ، وهنا يبرز دور العامل الذي كان غالبا سلبيا ، وحتى في حالة بلوغ التشكيات من العمال ، كان الباى يعاقب المتظلم ، « ويسمى الشكاية منهم ، ولو اليه ، فسادا في العمل ، يقتضى عقابا مجهولا هو بحسب مشيئة » (1 : 21) .

مشاركة العربان في الثورات المسلحة :

ساهم العربان في كل الاضطرابات التي ذكرها ابن ابى الضياف فانقسموا باشية وحسينية في الفتنة المشهورة (2 :113) ، وناصروا بعض أبناء البايات الخارجين (2 : 162) ، ولكن اكبر مشاركة لهم ، او على الاقل ما توسع (الاتحاف) في ذكره من مشاركتهم هو انتفاضة بن غذاهم التي تعتبر اول رد فعل جماعي على ظلم الحكم المركزي ، وقد وقعت دراسة هذه الثورة في مواضع كثيرة ، الا انه لم يقع الالحاح بصفة كافية ، في رأينا ، على بعض النواحي ، كالاسباب الدفينة لهذه الثورة ، ولا يخفى علينا ان الجباية ليست سوى القطرة التي افاضت الكاس ، والتنظيم المحكم الذي عرفه العربان من انضباط ، وعدم انسياق الى النهب ، كما يقر بذلك ابن ابى الضياف « .. الطرق معطلة عن المخازنية واتباع الدولة فقط ، ومأمونة للقوافل والتجار ونحوهم » .. (ك : 134) ، واتفاق على طرق اتصال بدائية ولكنها تفي بالحاجة ، يقول ابن ابى الضياف « واتخذ كل عرش طبلا يسمونه طبل الفزوع ، ينادون من قاربهم بقرعه ، فيسمع له دوى في تلك الفلوات » (5 : 121) ، ودور شيوخ الطرق والزوايا ، وكنا طرقنا شيئا من هذا في مقال سابق (4) ، وما الى ذلك

---

(4) انظر :
رياض المرزوقي : الاولياء والصالحون في (اتحاف اهل الزمان) الفكر – س 20 – ع 1 – اكتوبر 1974 . ص ص 33 – 48 .

◆ رد فعل الدولة :

وبطبيعة الحال ، لجأت الدولة ازاء هذه الثورات الى ما تلجأ اليه كل الدول الضعيفة ، وهو القمع والبطش والتمثيل بقصد التأديب والردع ، واثارة الخوف في نفوس من ينوى القيام ·

وفي ذلك يقول ابن ابى الضياف تعقيبا على القمع الذى تلا ثورة ماجر : « ··· وانكسرت شوكتهم ، وزالت وطأتهم ، **وخاف أمثالهم ···** » (3 : 32) وكان هذا القمع يكتسى أحيانا طابعا وحشيا رهيبا ، كعقاب زعماء ثورة ابن غذاهم الذين ماتوا ضربا في ظروف قاسية · يقول ابن ابى الضياف : « ومات منهم ، بسبب هذا الضرب الذى لا تحتمله القوى الحيوانية ، على بن عباس شيخ تالة ، خرجت روحه قبل كمال عدد الضرب ، فكملوا العدد بضرب شلوه وهو ميت · ومات بعد الضرب الحاج مبارك شيخ الطريقة بتالة ، ولم يسمع منه حال الضرب الا قوله : « يا رب ، يا رب » ، يكررها الى ان اغمى عليه [وفلان ، وفلان] وغيرهم من وجوه العرب ، ومأوى القرى ، ومناخ الصادر والوارد ··· ومات منهم في الستة اشهر ما ينيف على المائة · والشقى منهم بالحياة ، يغبط السعيد منهم بالموت ··· »

◆ اثر احتلال الجزائر :

· ويثير ابن ابى الضياف قضية ساهمت في اثارة هذه الانتفاضات ، وكان لها اثر في احتلال تونس ، وهي مقارنة العربان لحالهم بحال عربان الجزائر ، ومقارنة المعاملة التركية والحسينية ، بالمعاملة الفرنسية · وقد ساهمت فرنسا ، بطبيعة الحال ، في ترويج الاشاعات الزارعة لهذه الافكار : وطبيعة الوقت اقتضت اخلاق التمدن من المكايسة والمشاحة ، وفتح الابصار والآذان لسماع ما يقع في الجهات ، لاسيما في عربان الجزائر وانقلاب حالهم بعد الترك ، من العسر الى اليسر ، ومن الفقر الى الثروة ، ومن الخراب الى العمران ، الى غير ذلك مما يتناقلون حديثه ، سواء في ذلك اهل البلدان وأهل الخيام ، لاسيما والعربان مختلطة بعربان الجزائر ، لاسيما في الجهة الغربية ·· » (5 : 126) · بل وبلغ الامر بها أن استغلت التصريحات الرسمية « للتعريض » بحالة الايالة « وذلك لترى عربان الجزائر الفرق بين الحالتين ، وتنجذب اليه قلوب رعيته » (6 : 36) ·

وقد حلل ابن ابى الضياف تحليلا كافيا مشكلة اللجوء والاحتماء بفرنسا ، وابدال الجنسية ، وابدى فى ذلك آراء سنعرض اليها .

◆ **موقف ابن ابى الضياف من العربان :**

لم يكتف ابن ابى الضياف بالتاريخ ، بل علق فى اغلب الاحيان ، على الاحداث وابدى استنتاجات تدل على تبصر وبعد نظر ، بل وقف - كما نعته الاستاذ أحمد عبد السلام - موقف المؤرخ « الملتزم » (5) . وان لم نكن موافقين كل الموافقة على هذه التسمية ، كما أن الاستاذ لم يستعملها فى معناها الاصلى بما انه اثبتها بين ظفرين ، الا اننا نلح على مبدا انطلق منه مؤرخنا ، وهو واضح فى كل اقسام الاتحاف ، ودعمه ما حذف من مسودات الكتاب ، عند تهيئة الصورة النهائية ، والرسمية اذن ، وهو مبدأ الصدق ، والرد على الادعاءات والمفتريات المذكورة فى التصريحات الرسمية أو فى الرائد التونسى (6) .

وفى اتخاذ هذا المبدا من الجرأة ما لا يخفى ، وقديما قال المعرى فى رسالة الغفران : « لم يزل قائل الحق من الممقوتين » ورغم ما يفترضه القارىء مسبقا من صبغة ابن ابى الضياف « البلاطية » ، وهو ربيب نعمة البايات ، وحتى صبغته التقليدية فانه برز فى كثير من الاحيان تصرفات العربان :

فهو يقول فى نص شهير من مقدمة « الاتحاف » :

« انظر الى بوادى الخيام ، كيف عدلوا عن بناء المساكن وغرس الاشجار ، ومجاورة المياه مع العلم بان ذلك أحسن مما هم فيه من العناء وشظف العيش ومجاورة الافاعى ، يستوى فى ذلك كل مميز يفرق بين التمر والجمر حتى تخلقوا بهذا التوحش المنافى للعمران ، وباهوا به اهل القرى والامصار ، وما ذلك الا من **عدم الامن وتوقع العدوان** » . (I : 2I) .

ويفسر **اضطرار** العربان الى قتل العمال أحيانا فيقول فى نفس الموضع :

---

(5) (6) انظر :
احمد عبد السلام : المؤرخون التونسيون فى القرون السابع عشر ، والثامن عشر ، والتاسع عشر - محاولة لتاريخ ثقافى . تونس 1973 - (بالفرنسية) . ص . 37I .

« وربما اضطر بعض الاعراب – ممن بقيت فى نفسه اباءة – الى قتل العامل ويستصغر ما وراءه من عقاب الملوك ويقول « ياكلك الاسد ولا ياكلك الذئب !» فكلمة « اباءة » وحدها حكم براءة !

وهو يعيب على الدولة ما يراه سببا لقيام الانتفاضات ، كعدم تطبيق عهد الامان ، ويستشهد على ذلك برسائل القناصل او المبالغة فى التصرف المطلق ، وتطبيق السياسة الفاسدة بتأييد أهل الملق ، وافضل ما يمثل ذلك نقل ابن ابى الضياف لصورة عن المجلس الذى قرر الرفع فى مقدار الجباية مما اوقد نيران ثورة بن غذاهم ، وهو مجلس لم يكتف ابن ابى الضياف فيه بالتاريخ، بل حكم على رجال الحاشية الذين أيدوا القرار تملقا « وباطنه لا يعتقد ذلك ، وشواهد حاله تكذبه ، الا انه يستر قصوره عن اقامة الدليل بهذا الملق البارد» (5 : 113) ، أو جهلا « .. وينقل فى ذلك مثلا ارسله بعض الاوغاد السفهاء من جهلة الترك ، وهو : « العربى خذ ماله واقطع راسه » . وليته علم ما يلزمه فى هذه المقالة » ، أو خوفا « ومنهم من يسمع الكلام ولا يسمع منه قول حال المستمع الى تلاوة القرآن ، والله اعلم بحال سكوته !» وحكم على الاعيان الذين تخلوا عن واجبهم « بصفتهم رجال الحل والعقد » ولذلك كان جوابهم عن مكتوب الباى : « ان سيدنا اعلم بسياسة رعيته » وان حالتهم المشاهدة لا تعزب عن علمه » ، الى غير ذلك مما هو صريح فى الخروج عن العهدة . » (5 : 112) .

ويعلق بلذاعة على موقف الباى فيقول : « من اراد ان يطاع ، فليأمر بما يستطاع » (5 : 120) ، ويقول ايضا : « ان من صارع الحق صرعه ، وطوفان الجور سريع الغور » (5 : 131) .

بل ينفى عن العربان ما اشيع عنهم من أقاويل « اعرضنا عن تسويد الصحف بذكرها لانها كطنين ذباب ولمع سراب » ، ويعتبرهم مظلومين « ورب ملوم لا ذنب له » . (7)

---

(7) يعطى الرحالة بليسيى دورينو Bellessier de Reynod صورة عن العربان تعكس النظرة الرسمية : وهى أنهم اهل شغب ، دائمو الخصام فيما بينهم وان حاول ان يكون فى ذلك معتدلا (انظر مصطفى كريم : تونس ما قبل الحماية – تونس 1973 (بالفرنسية) الجزء الثانى ص 398) .

ويرى انهم يتقبلون القوانين بصدر رحب اذا ما اقتنعوا بها « وهل ترى اذا شرح لهم معنى القانون ... كانوا يصرون على مطالبهم او يقودهم الطبع البشرى الى التسليم ؟»

وهو يدافع عنهم دفاعا عجيبا ، ويفند حجج خصومهم حجة حجة (5 : 127 – 131) .

وهو بصفة عامة يتعاطف معهم فيقول ناقلا قولا لفرحات عامل الكاف : « ان عربان بلدنا لا يستطيعون ذلك [اى خلاص القدر المزيد] ، وضعفهم مشاهد بالعيان ، وذلك اننى فى العام الماضى بعت على الضعفاء خيام بيوتهم ..، وتركتهم مع صبيانهم تحت اديم السماء للحر والقر .. » (5 : 115) فأين نحن من الكنوز المدفونة ؟ .

وليس هذا التعاطف غريب الشأن .

• أسباب تعاطف ابن ابى الضياف مع العربان :

فابن أبى الضياف ولادته ونشأته فى العاصمة ، اصيل عرش اولاد عون ، ولا شك ان لذلك تأثيرا فيه .

ثم هو يعتبر نفسه عالما اى رجل اصلاح دينى ، وكأى مفكر دينى يضع للسياسة أخلاقا يطالب باحترامها كالرحمة والعدل .. ، وقد لا حظ انتهاك الدولة لها ازاء العربان .

لكن اهم سبب لذلك يبقى تأثره بالاصلاح والمصلحين ، ويظهر فى مناصرته للخط الشريف ، وعهد الامان ، وتأييده الدائم لخير الدين وجماعته .

• الخاتمة :

ان موقف ابن ابى الضياف من العربان ، والعامة هو موقف المؤرخ والمفكر السياسى الذكى ، وصاحب القلب . وان نظرياته ، رغم تأثرها بأفكار سابقيه قد التصقت بواقعه المعاش ، فمنحت تاريخه نضارة ، وتجددا ، وصدقا .

وليس بحثنا هذا سوى خطوط عريضة لما نأمل القيام به من دراسات حول (الاتحاف) ، فما زال الموضوع محتاجا الى تعمق وتدقيق ، وربط بنظرة المفكرين العرب الى (العامة) انطلاقا من الجاحظ حتى ابن خلدون ٪

د . م .

– ديسمبر 1976 –

يقظة

شعر : مصطفى عز الدين

يقظة بعد غفوة كشفت لى ... فى سنا النجم آية الفنان
فى السماء الضحوك طير يغنى ... إن شجاه الحنين أحيا الغانى
فى المروج الخضراء يسرى ويشدو ... كالخيالات فى السنى النشوان
وهو فى خفقة الصدور نشيد ... عبقرى الأنغام والألحان
وهو فى غفوة العذارى لحون ... مسها السحر من عبير الجنان
وهو فى وحشة الغريب نداء ... من شحوب الحياة فى الأغصان
أيها الحب أين ٠٠ أين مكانى ... من زمانى وأين مسرى الأمانى
هبط الأرض آدم فسقاها ... وسقته من دمعها الهتان
وهو لولا حواء كان خيالا ... لم يعش فى الوجود غير ثوان
ذنب حواء سحرها وهو ذنب ... أبدع الفن فى سماء المعانى

ل٠ ع٠

غـــرة الشـهر

قصة : بقلم : عبد القادر الحاج نصر

أدخل يديه فى جيبى بنطلونه ، واقترب من المغازة محاولا الاحتماء من البرد بالاضواء الساقطة من أعلى الواجهة ٠٠ فكر فى كل شىء حتى فى التفاهة التى تملأ أيامه ٠٠ كاد يصطدم ببلور المغازة ٠ عاد أدراجه الى الخلف وغاصت يداه أكثر فى جيبى البنطلون ، رفع عينيه الى فوق ٠ كانت السماء رغم الاضواء المشتعلة فى المدينة تبدو زرقاء صافية ٠ وكأنما أحس بموجة من البرد تهجم عليه فجأة ٠ أخذ يحرك ساقيه ملازما مكانا واحدا ٠٠ نزت قطرات عرق من جبينه ، كانت الساعة السابعة ليلا ، فجأة تساءل لماذا يقف فى هذا المكان بالذات ؟٠ وهل هو ينتظر أحدا ؟٠ ظل دقائق طويلة يبحث فى ذاكرته عن السبب الذى دفعه الى المجيىء الى هذا الناحية ٠٠ كان الطقس متقلبا ٠٠ وأحيانا يسقط المطر دفعة واحدة ٠٠ وأحيانا تهب ريح ٠٠ وأحيانا تنفرج الحالة ٠٠ كان يريد ان يعرف ٠٠ وألح على نفسه كى يهتدى الى طرف الخيط ٠٠ لقد نام طويلا من الواحدة ظهرا حتى السادسة ٠٠ وحين استيقظ لبس ادباشه على عجل ونزل الدرج مهرولا ٠٠ ثم أسرع الخطو فى الشارع ٠٠ أما لماذا جاء الى هنا ، وتريث أمام المغازة فهو لا يدرى ٠ لا شك أن للامر جذورا ٠ وأن هناك دوافع ٠ جذب يده اليسرى من جيبه ، وحك رأسه ثم أعادها بسرعة ٠٠ وغادر المكان ببطء ٠ هدأت حركة المارة ٠٠ وبدا الشارع اطول مما كان يتصور تساءل لماذا يغادر المكان فى هذه اللحظة ٠٠ انها مهزلة ان يذهب هكذا ٠٠ والى أين ؟ كان عليه ألا يدرك قبل أن يقرر اى شىء سبب السرعة التى ارتدى بها ملابسه ، وهبط الدرج ، وهرول فى الشارع ٠

اقترب من الجدار ٠ وضع يده على احدى المعلقات وأحنى رأسه ٠ كان يفصله عن المغازة ما يقارب عشرين خطوة ٠ اعتصر دماغه ٠٠ ابتسم ثم عاد فزم

شفتيه . لو لم تكن المسالة تافهة لما نسيها بهذه السرعة .. انها مسالة لا تستحق الذكر . ولكن مع ذلك !. مع ذلك ؟ أخذت تمر أمامه أحداث مبعثرة

صعد ذات يوم عربة الركاب . جلس على مقعد حديدى وأغمض عينيه ثم ظل فى حالة متواصلة بين النوم واليقظة : كان يحمل ورقة عداد الماء ، وينوى الاتجاه الى الشركة ليسلم العون المحترم النقود التى استهلك بها ماء طيلة شهرين أو ثلاثة . لم يكن يحمل نقودا فى جيبه ، وانما كان يعول على الحظ .. سيجد فى الطريق من يقرضه ذلك المبلغ الضئيل .. ثلاثة دنانير ونصف الدينار .. ان بين المحطة الاخيرة لعربة الركاب وشركة الماء أمتارا تعد بالمئات .. أمتارا طويلة غاصة بالناس .. بالاحمرة .. بالاصدقاء .. بالنساء بالسماسرة .. الا يستطيع فى طريقه أن يجد بغلا واحدا مستعدا لاعطائه ذلك المبلغ الضئيل ؟

منذ أن اكترى محلا جديدا بنهج « رمادة » كان يدفع من جيبه ثمن ما يستهلك لشركة الضوء . ولمؤسسة الماء . ولحراسة العمارة..لم يضايقه أحد .. كان مستقيما فى سلوكه والاجوار يعرفون ذلك .. كان مستقيما الى درجة اليبس .. حتى أن المرأة الوحيدة التى كانت تزوره يوما بعد يوم لم تثر لدى الاجوار أية شبهة .. فقد كان البعض يحسبها خادما . أما البعض الآخر فلم يكلف نفسه أبدا السؤال عنها .

حين فتح عينه ظن أن عربة الركاب لم تقطع شبرا واحدا كم يحلو له الانزواء فى مقاعد العربات .. يكفى أن يضع الانسان ثقله على المقعد ، حتى تتحول تلك البرودة الى دفء مشجع .. كم يحلو الاسترخاء !.

كانت الاشجار جاثمة على حافتى الانهج التى يمر بها .. وكان نظره لا يتحول عنها كأنما يفتش عن شيء معلق بين أغصانها . كان جيبه خاويا . والبرد يخترق معطفه الخفيف ، ويهجم على صدره وفخذيه فينكمش فى مقعده أكثر .

ليست هناك طريقة لاحتمال العيش فى منزل بلا كهرباء لم يفكر أبدا فى الالتجاء الى الاضاءة بالوسائل البدائية .. رغم أن ثلاث شمعات تكفيه الليلة الواحدة .. كيف سيتمكن من تحقيق ذلك دون أن تحمر عيناه وينهكه الارهاق وحتى لو وضع شمعتين على الطاولة ، ثم وضع الشمعة الثالثة على مرفع قرب الصورة فلن يحسم المشكلة كما يريد .. ترى كيف حصل على تلك الصورة ؟. ومتى ؟. انها أشياء لا يمكن تحديدها .

الغرفة التى ينام فيها تشتمل على سرير صغير ، يكاد أعلاه يلتحق بالارض ولعله حين ينام يحسن بأن لا شىء يفصله عن القاعة • وهناك فى الطرف الآخر طاولة شديدة الارتفاع •• حتى أنه لا يريد أن يضع فوقها شيئا ، أو يأخذ من فوقها شيئا آخر • يجذب كرسيا ، ويصعد فوقه • وهناك مطفأة السجائر التى تعلو على السرير بقرابة المتر • كان حين يود لفظ رماد سيجارته وهو مدد على السرير يستوى جالساً • ثم يستند على ركبته ، وينفض الرماد فى المطفأة ويعود الى وضعه الاول •

لم يكن هذا يقلقه •• فهو يعتقد أنه ضرورى للمحافظة على صحته •• لا بد من التمدد والانحناء والوقوف ، والصعود والهبوط • لم اذن ينشرون الاعلانات المطولة عن حتمية تعاطى الرياضة • ان بيته ، والطريقة التى رتبت بها الادباش تغنيه عن الدخول الى أحد محلات التمارين •

حين دخلت « ريم » غرفته لاول مرة ، تراجعت قليلا •• وعضت شفتها وسألته •

ـ أتنام هنا ؟

لكنه جلس دون أن يعيرها اهتماما •• ثم وقف وقام بنفس الحركات التى يقوم بها كلما دخل غرفة نومه • نزع معطفه •• قرب الكرسى وصعد فوقه •• ثم قفز فوق الطاولة ، ونفض التراب عن الصورة •• ونزل ببطء ليجلس فى طرف السرير •• وترك لها الطرف الآخر • قالت •

ـ أردت أن أقول : إنه مكان رائع لقضاء الليل ، ثم استطردت بحماس

ـ مكان رائع !

أجابها بهدوء

ـ هو ككل الامكنة المعدة للنوم • حقا ان عدة أشياء تبدو مفقودة ولكننى لست بحاجة الى شىء آخر •

حين قضى عدة سنوات فى الوظيف أدرك أنه يسير ببطء •• وأن مهمته فى بيت التوثيق بمثابة السبة •• سنتان ونصف السنة لم يكن يفعل شيئا آخر غير قص المواضيع التى تحمل علامة حمراء • وترتيبها ، ووضعها فى صناديقها حسب حروف الهجاء ، كان يقضى سبع ساعات فى بيت مملوء بالغبار •• كان يتنحنح • ويسعل •• ويضرب بيده الطاولة ••

ويربط أحيانا منديلا على وجهه .. كان يفعل حركات كثيرة دون أن يرفع رأسه عن العمل .. كان ... ولكن التراب يلتحق به .. يسرح فى الفضاء . ويتجمع ثم يهجم عليه ..

سنتان ونصف .. يمضغ التراب . يشم رائحة الجير المتعفن .. يسعل ويتنفس تحت أكداس الورق ..

وضع على باب المكتبة « هيئة الموثقين » .

أحس وهو ينظر الى فارس .. والى سلام .. وجعدانة . أحس بقرف وهو ينقل بصره بينهم ببطء . لقد وجدهم أمامه حين دخل أول مرة دار التوثيق كانوا يجلسون قبالة بعضهم ويتكملون .. جعدانة هو الذى يوزع العمل وجعدانة يأمر .. وباستطاعة الآخرين القبول أو الرفض جعدانة يقول كل شىء ثم ينسى كل الذى قيل .

أربعون سنة أو خمس وأربعون ـ يرتدى دائما بنطلونا واسعا لا تحس أبدا أن داخله ساقين تتحركان . البنطلون هو الذى ينتقل فى الوقت الذى تتحرك فيه يد جعدانة واحدة الى الامام وأخرى الى الخلف . فقد كل شعر رأسه وكان هزيلا وملتصقا بالارض ..

فارس وسلام .. شابان كبيران .. لا يثيران فيك أى استغراب .. هما من عامة الناس .. قد يكونان سافلين أو سكيرين .. أو تاجرى مخدرات أو من عائلات فاضلة . ليس بامكانه أن ينسى الحصص الطويلة التى يقضيها كل يوم معهم .

ـ هذا عمل سافل ! أتظل طول النهار تعتنى بأظافرك لا غير .. هذه سبة .. ألم يجدو لك عملا . يقهقه فارس ملء شدقيه ـ يضرب الطاولة ويحدث خشخشة بساقيه .

ـ أنت يا جعدانه تصطاد فى الماء العكر . أتظن أن المسألة تحتاج الى هذا الصراخ ؟

ـ أجل .. ولم لا .. أصرخ الى الابد .. أهناك من يقبل هذا الوضع ؟

يتنهد سلام يقزقز بأسنانه .. يقفز من فوق الكرسى ، يمرق الى الخارج ويجذب الباب وراءه بقوة

ـ لقد فقد دماغه ·

يصوب نظرة تجسس نحو فارس يجده منشغلا بترتيب بعض الاوراق ·

ـ لن تقنعنى أبدا بان لك عملا · أتعتبر كتابة الرسائل الى حبيبتك شغلا اداريا ؟

ـ لقد ضبط محافظ الوثائق فى مكتبه يضاجع سلامة ·· ضبط أكثر من مرة ·· عد ذلك أمرا طبيعيا ـ لو ذهبت ونتحت باب مكتبه لوجدته معها ـ كل الناس يعرفون ذلك ·· الاسفل والاعلى ·· وتحاسبنى أنا يا جعدانه على تحرير خطاب لزوجتى ؟

ـ انك تتزوج فى الشهر عشر مرات !

ماذا أفعل ·؟ من يستطيع اليوم أن يفرق بين الشريفة والعاهر ·

ـ كلهن عاهرات ·

ـيرتدين من « الروبافيكا » حتى العنـق ·· ويتجـولـن فـى الشـوارع كالاميرات ·· ويتصنعن التقوى ·· لكنك حين تخرج مائة مليم يتحلقن حولك

ـ ماذا تريد أن أفعل يا جعدانة انى أجرب · حتى خطيبتى الاخيرة أشك فيها

ـ انها كالاخريات ـ أتثق بزوجتك يا جعدانة ؟

ـ أكاد أشهق بالبكاء من أجلك ·· زوجتى من الطابور الاول ··

ـ ألك بنات ؟

ـ أجل ·

ـ هل هن من الطابور الاول ؟·

ـ الطابور الاول !

ـ الطابور الاول ـ مثل زوجتك « أم هانى »

ـ آه ·· من الطابور الاول ·· كيف أعلم ذلك ·· وأنا أقضى كامل وقتى فى هذه الغرفة كالمسجون لا يمكن أن أضمن ذلك ·

ـ المسالة تتعلق ببناتك ؟

ـ لم أعد أمسك بزمام الامور · اسكت · لا أريد أن أستمع الى هذا النقيق ·· أكاد أختنق بالبكاء

مرر يده على جبينه ثم نظر الى « ريم » بلهفة . كانت تقارب الاربعين .. ملامحها توحي بجمال دفين موثق بالاغلال ليس بينه وبين الصراخ الا أن يتعرى .. أن يحرك .. أن ترفع عنه الغلالة .. لم تكن لحيمة جدا .. كانت مثلما يتصور المرأة تماما .. ترتدي سفساري كأنما لتختبيء وراءه .

مد يده وجذبها بشيء من العنف . وقال بسخرية

ـ انني مستعد ان اتزوجك .

أبعدته برفق

ـ ليس ذلك ممكنا .

ـ كيف ؟

ـ انها أمور تحدث ثم ينتهي كل شيء

ـ أتمانعين ؟

ـ لننس هذا الامر .

ـ لماذا جئت اذن ؟

ـ هي أمور تحدث كذلك . أتعذب نفسك كثيرا بالاسئله حين تود ان تبدل قميصا بقميص آخر ؟

ـ أنت متزوجة .

ـ ماذا يهم !

مد يده ثانية اليها .. ولكنها نهضت معتذرة ـ قالت له ان الوقت متأخر وساعود مرة ثانية .

تفحص مقاعد سيارة النقل . لم يعد هناك غير السائق والعون المكلف بالتذاكر وامرأة عجوز وشخصان جالسان أمامه لم يتبين سحنتيهما . ثم القى نظرة عابرة على الطريق .. أحس بالخزى . كان يود لو نزل منذ مدة .. انه لا يعرف المكان الذى يوجد فيه الآن . توقفت العربة ونزلت العجوز ، والشخصان الآخران . وانكمش هو فى مكانه متحفزا .. قد تحدث أشياء .. أيكون هذا الامر طبيعيا ؟ وسمع صوتا فاترا يسأل :

ـ هل تقصد المحطة الاخيرة ؟

حاول أن يجيب ، ثم عدل عن ذلك وتلملم اكثر في المقعد ليقفز كالسهم قاصدا باب العربة ٠

كانت الساعة حوالى الخامسة مساء ٠٠ ومازال يتذكر جيدا أنه ذاهب ليدفع فاتورة الماء ٠٠ وأن شبابيك تذاكر الشركة تغلق فى السادسة ٠ كان عليه أن يسرع ٠٠ ولكن كم تبعد الشركة ٠٠ عن المكان الذى غادر فيه العربة ؟ ربع ساعة أو نصف ! انه يعرف أنه ليس بعيدا جدا ، ولا يمكن أن يكون قد نزل فى أقصى المدينة من الشرق أو من الغرب ٠٠ ورغم ذلك ٠٠ أسرع الخطو وكان وهو يندفع فى الطريق يحث نفسه كأنما يسوق دابة ٠

« كانت مثلما يتصور المرأة تماما ٠ لكنها تتجاوزه بعشر سنوات على الاقل ، ليست هذه العقبة ، امرأة فى الاربعين ٠ المهم لديه أن لها من الجمال ما يفى بحاجة عشر سنوات اخرى ٠ الاشياء مرتبطة ببعضها ٠٠ الذين يعملون فى المغازات لا يحتاجون الا لعشر ساعات فى اليوم ثم يذهبون ٠٠ عمال البلدية فى نهج رمادة مكثوا عشرة أيام لتسريح البالوعات ثم اختفوا ٠٠ ولقد انتظر هو قرابة العشرة شهور للحصول على عمل حتى انضم الى هيئة الوثيق ٠٠ وعشرة أعوام ٠٠ عشرة أعوام كاملة ٠٠ تصوروا ٠٠ وهو ينام كل ليلة بجانبها ويضاجعها ! »

حين بلغ باب الشركة تذكر انه لا يملك مالا ٠ ولكى يعثر على أحد يقرضه مبلغ الماء ٠ لابد له أن يقطع المسافة بين الشركة ومبنى المسرح ٠٠ ولما اقترب من درجات المسرح ٠٠ كان الوقت قد فات ٠٠ وبدأ الموظفون ينصبون على محطات العربات ، ويسدون الشوارع ٠

الوقت متأخر ٠٠ هكذا تبدأ المسائل تتضخم ٠ وتتخذ أحجاما مريعة ٠٠ درجات المسرح مهترئة ٠٠ وواجهات المبانى يكسوها وسخ وغبار ٠ انزوى فى مكانه ٠٠ شعر بالشاحنات تفتح طريقا فى نفسه وتدوس قلبه ورئتيه ٠ غدا يأتون لقطع الماء غدا صباحا ٠٠ وسيضطر الى حمل سطل والتردد على الجيران ٠ انه لا يحتاج الى أكثر من سطل فى اليوم الواحد ، وفى العمارة أكثر من عشرة سكان ٠ ولكن متى يحمل السطل ٠ ويصعد الدرج ويدق كل الابواب ؟ إنها فرصة على أية حال ٠٠ فهو لم يمعن النظر فى نساء اجواره ٠٠ وسيمد بصره فى وجوه الفتيات والزوجات سيتعرف عليهن ٠ لم يعيش منعزلا بين أكثر من عشر عائلات ؟ انها فكرة ٠

نظر مليا فى راس جعدانه ٠٠ وكان جعدانة ينظر فى صفحة المكتب ٠ كان جعدانة رجلا قابلا للاحتكاك ٠٠ بالامكان التحادث ، وحتى تناول كأس

شاى معه ٠٠ ففى رأسه الاصلع تختبىء أشياء كثيرة يمكن أن تفيـدك ويمكـن أن تصلك بآفاق كبيرة ٠ جعدانه بالامكان الاحتكاك به ٠

جعدانه هل قمت بحصتك العسكرية ؟

انتبه جعدانه وغرس فيه نظرا متحفزا ٠

ـ عمرى ستة وأربعون سنة ٠٠ أتظننى مطالبا بالجندية ؟

ـ لكنك تبدو شابا ٠٠ هذا لا يهم ٠٠ انك تتحدث وكأنك على أبواب الرحيل

ـ عندما تسعل امرأتى ٠٠ أتوق إلى الرحيل ٠

ـ وهل تسعل امرأتك ؟

ـ أم هانى ٠٠ انها زوجة رائعة ٠٠ وهى تسعل كلما لم أستطع ابتياع الدواء لها ٠

ـ وهل هى تسعل ؟٠ هل هى فى حاجة الى دواء مستمر ؟

ـ انها امرأة ٠

ـ انك موظف ٠٠ عفوا موثق ٠٠ آه ٠٠ هل يعتبرون الموثق موظفا ؟

ـ الموثق موظف ٠٠ أجل ٠٠ أجل ٠٠ لا ٠٠ والله لا أعرف ذلك بالضبط ٠ ألم تسألهم أنت ؟

ـ من ؟

ـ الذين توسطوا لك فى الدخول ٠

ـ انى لا أعرفهم ٠٠ لم يكن ذلك ممكنا ٠٠ ان والدى هو الذى توسط لى عند وسيط ٠ ثم اننى لم أر من الضرورة أن أسأل انك موثق هنا يا جعدانة منذ سنوات ٠٠ الم يطلعوك على شىء ؟

انهم يعطونك مرتبا !

ـ أجل انهم يعطونى مرتبا ٠ اعطيه بدورى لام هانى ٠٠ بعد ان أخصم منه ثمن السقائر ٠٠

ـ ولكنك موظف ٠

ـ ربما ٠٠ لست أدرى ٠ أعلم انى موثق ٠٠ أشعر دائما بالخوف كلما اردت أن أسأل ٠

ـ الم تسألك أم هانى ـ ماذا تفعل ٠٠ وفى أى صنف انت ؟

ـ قلت لها انى موثق

ـ وماذا أجابتك ؟

ـ قالت ٠٠ رائع أن تكون « موظف » اختلطت عليها الكلمتان ٠٠ ولم أصلح أنا هذا الاختلاط ٠

ـ كان عليك أن تسأل ؟

ـ أفكر فى أن أتخلى عن التوثيق ٠٠ ان ماسحى الاحذية لهم دخل أرفع منى ٠٠ أم هانى تقول لى ان ماسح الاحذية وبائع الفواكه ، والحماليـن والسماسرة ٠ لهم دخل محترم وينفقون أموالا طائلة على زوجاتهم ٠ وأنا موثق ولا أستطيع ان اوفر لها دواء لمقاومة السعال ٠

ـ انه الانفتاح يا جعدانه ٠ الا تحس بالانفتاح ؟

ـ آه ٠٠ الى درجة أن سطح المنزل قد أصبحت فيه ثقوب كثيرة ، وتشققت الابواب ٠٠ وانبطح السرير ٠ وتقشر اسفلت البيوت ٠٠ وأنا قد انفتحت ٠٠ أرأيت سروالى ؟

ـ سروالك ٠! هل لسروالك دخل ؟

ـ انه منفتح ٠٠ أرأيت سروالا منفتحا أكثر من هذا ؟٠ انه منفتح فضفاض وكثير الثقوب ٠ أحيانا أريد أن أرتقه ٠ فأقول ماذا يا جعدانة سيتهمونك ٠ سيقولون هذا ضد الانفتاح وسيدخلونك السجن ٠ وماذا تفعل أم هانى لوحدها ٠

ـ انها أمور تحدث ٠

ـ أجل تحدث ـ تحدث ٠ أخاف أن تبتلعنى الهاوية ٠

رن جرس الهاتف ، فارتمى عليه جعدانه ٠٠ ولكن أحدا لم يجب فى الطرف الآخر ٠٠ لم يكن يسمع الا جعدانة يردد آلو ٠٠ آلو ٠٠ آلو ٠٠ آلو .. وسقطت السماعة ٠٠ وسقط الصمت ٠ ثم بعد فترة ٠

ـ هل أن أم هانى تسعل كثيرا ؟
ـ تسعل كثيرا كثيرا ...
ـ ولماذا تسعل أم هانى ؟
ـ انها مريضة . عند هافتحة فى مكان ما ؟
ـ أراحك الله من هذه الفتحة يا أم هانى .

كان بين المسرح والمقهى الذى يجلس فيه عادة بعض مئات من الامتار .. هناك دائما شيء يدفعه الى مواجهة النادل .. الى التفرس فى ملامحه .. والى متابعة خطواته البطيئة لابد من النظر اليه .. انه رجل طيب ومكدود .. يضع القهوة على المنضدة بشكل رتيب .. كأنه يضع قميصا متسخا على جسده ينظر اليها بازدراء .. وينظر اليك شزرا .. ولكن بتعب شديد لا يوجه اليك الا كلمة مقتضبة .. ثم يدير وجهه .. وعندما يمر بين الصفوف .. ينظر اليك ببطء شديد .. ويستل بصره منك .. كم هو فظيع ! انها سكين حادة تستل من الوجه .. من الرأس .. من وسط الدماغ ، لا يلبس الا أشياء قديمة انه هو .. هو النادل الحزين .. المتنقل ببرود .. كان أسمر نحيل الجسد .. طويل القامة .. يصوب اليك بصره من فوق .. ليس لديك أية وسيلة لتحاشي ذلك اللهيب المسلط من عينيه .. لهيب بارد محرق . عندما تحاول أن تقابل نظره المتعالى بنظرك أنت .. تحس كأن فيك شيئا يتجمد .. نظرك لا يمكن ان يصل الى مستوى شبر .. سرعان ما يتوقف . ينسحق تحت ذلك اللهيب . وكان النادل يأخذ الهبات المالية الصغيرة يأخذها وهو غاضب لا يقول أبدا .. « شكرا » ثم يردف حركة التقاط الهبة بنظرة ازدراء . يذهب الى المقهى ليرى النادل . ان ملامحه تشبه فى بعض النواحى جعدانه .. وجعدانه هو الذى اعطاه عنوان المقهى .. وقال له : « هناك تستطيع ان تتناول قهوة بكل ارتياح .. فالنادل رجل طيب وغريب .. انه أحد الاجوار الذين أعرفهم جيدا . »

قطع المسافة بين المسرح والمقهى .. ودفع الباب وارتمى على أحد المقاعد .

ـ يتبع ـ

ع. ح. ن.

من رسائل شاعر مغمور
إلى امرأة مشهورة

للشاعر اليمني: عبدالله عباس المتوكل (ابن مريم)

1 ـ ينصحنى عجزى الفاجع عن أن أمسك منك باقرب اغصانك يا أضخم ـ٠٠يا أطول ، يا أورق ، يا أثمر ، يا أرشق ـ٠٠أشجار المانجو يا أبعد اشجار المانجو اغصانا

ينصحنى ان أصرف عن آخرك الراحل فى كف الريح ووشوشة الشمس وخاصرة السحب الجبلى ٠٠٠

٠٠٠ ينصحنى ان أصرف عنه العينين المتخشرتين بسهر

* * *

2 ـ ينصحنى عجزى الفاجع أن أمسك عن ثمر يتسلق أغصانك فى مرح كامرأة عارية يبصرها واقفة خلف النافذة مراهق ٠٠٠٠

ينصحنى أن أمسك عنه حبال الجوع المتهرئة قنوطا وجراحا وتحسر

* * *

3 ـ ينصحنى عجزى الفاجع الا ابسط بعد اليوم الى اقرب اغصانك كفا مهما انتشرت ، مهما فى القلب تمدد وانثال وريد يوشك أن يتقطع من طول طموح أرعن ومكابر

لن تصل الى ما تبغى قطفا أو ٠٠٠ أو حتى بلمس عابر

* * *

4 ـ ينصحني عجزى الفاجع ان أطوى الرغبة ـ فى وجهك ـ تحت البعد الفاصل بينى بينك مدا يتعالى يجتاح

* * *

5 ـ ينصحنى عجزى الفاجع
وسوى الأنصات المخلص لم يتعود منى
وسوى الانصات المخلص من نفسى ما اعتدت
الا اليوم
فكما كنت هنالك تحتك ياأطول ، يا أضخم ، يا أورق ، يا أثمر ، يا أرشق أشجار المانجـو
أعدو فى نار قنوطى وسراب رجائى ومخالب عجزى أبغى النيل العابر من أقرب اغصانك
لا زلت كما كنت

* * *

6 ـ بالرغم من النصح المتكرر
بالرغم من النصح الصادق
بالرغم من النصح المحموم المتوهج
لا زلت كما كنت
لا زلت وسوف أظل
سأظل الى أن أشهدك بعينى فى فصل خريف قاس تتلوين كقارورة عطر فارغة فى محل عطر باذخ
تلتفعين الذلة كسلحفاة فى سبق ارانب
أو . . . .
أو أهلك تحتك حزنا وعيـــــــاء
يا أضخم ، يا أطول ، يا أورق ، يا أثمر ، يا أرشق ، أشجار المـانـجـــــو يـــــــــــــــــا
يـا أقسـى الاشجـار

* * *

ع. ع. م.

البحث عن نهاية

قصة قصيرة بقلم: جواد صيداوي

لم يمت . رغم أن الاصابة كانت فى الصدر ، فى مكان ما من الصدر . نزف بغزارة . من اين له كل هذا الدم . قال حاملوه : إنه ميت لامحالة . بل اكد البعض بانه قد مات فعلا، مات كما ينبغى أن يكون الموت، وراود أذهانهم القول المأثور: خير الميت دفنه . ولكنه لم يمت ، لا لأنه أقوى من الموت ، بل لأن من بيده أمر كل شىء لم يشأ موته . كانت الاصابة فى الصدر ، جاءته مجانا ، تماما كما ولد وكما عاش ، لم يشارك فى أية جبهة من جبهات القتال ، لا تقليدية ولا طارئة ، ولم تراوده الرغبة قط فى غزو منزل أو متجر ، بل كان مجرد باحث عن خبز ، المعدة بيت الداء ، وبيت القصيد ، وراح وهو فى حالة بين الوعى واللاوعى يهذى بشهادة الموت، خطاياه كثيرة ، كثيرا ما يخطىء المؤمن عن غير قصد ، وهو يريد ، اذا كانت ساعته قد حانت حقا ، ان يموت مستغفرا تائبا . فهناك جنة وهناك نار . ولكنه لم يمت . فقد بقى القلب بمنأى عن الاصابة ، هذا القلب ، هذا الركام العفن ، المستنقع ، بقى بمنأى ، يتسع ، رغم ضيقه ، لكى شىء ، الا لوطن صاحبه ، بقى بمنأى ، عامرا ، رغم النزف ، بعفونة الارض وعفونة السماء . ولكن الوطن لم يدخله قط ، ولم يسر فى الاوردة والشرايين ، ولم يسهم فى تركيب الخلايا ، وانما بقى بعيدا ، بقى غريبا ، لم يدخل قلب صاحبه أبدا ، وانما دخل جيبه ، ودخل جوفه ، والداخل الى الجيب او الى الجوف ، اما ان يموت فيهما فلا يبعث ، واما أن يخرج منهما فلا يعود . قال حاملوه : ــ سبحان من بيده كل شىء يحيى ويميت ، انه ما زال يتنفس!

وعندما سجى على فراشه ، فتح عينيه وحاول أن يتبين شكل الوجوه المحيطة به . وعندما عرى من أسماله بانت على صدره بقع جامدة سوداء ، سوداء كالنفط . وتمتم أحد السذج لنفسه :

ـ لا يمكن لهذا أن يكون دما ·

ثم استغفر الله

وقال الطبيب وهو يحشر الاجر فى جيبه :

ـ لقد نجا

وانصرف مهرولا

والانفجارات تتوالى بانسجام أليف · قال أحد المؤمنين بنبرة خجولة :

ـ والله ان الموت لأفضل من العيش فى مثل ··

وسكت محرجا قبل أن يتم

أيام قلائل ويندمل الجرح ، وقد يترك أثرا سطحيا لا أهمية له ، ويعود المصاب الى السعى · قالت الزوجة :

ـ انها رحمة من الله بهؤلاء الاطفال القصر ··

وأشارت بيدها الى سبعة يتحلقون حولها

ـ ·· لقد ذهب ليأتيهم بالخبز ، ليتنى رددته ، وليمت الجائع منا بجوعه

فرمقها الاطفال بنظرات فارغة ·

وهمهم المصاب مشيرا بيده يريد ماء · انه حى يرزق ، وعما قريب يعود الى السعى ، ويعود رقما فى سجل الوطن ، ويعود الوطن الى الدخول فى جيبه والخروج منه ، والى الدخول فى جوفه والخروج منه ، لو مات ، لبعث يوما اما الى جنة واما الى نار ، ولكنه لم يمت ولن يبعث · أما تل الزعتر فقد مات ، مات كما ينبغى أن يكون الموت ، ودفن عميقا · وعندما اطمأن قاتلوه الى موته ، خرج من أعماق الارض التى دفن فى باطنها طائر غريب راح يصيح بشراسة :

ـ اسقونى ! اسقونى !

ولا يزال · ولن يتوقف عن الصياح الا بعد أن يبعث الدفين اما الى جنة واما الى نار ، اما هو فلم يمت ، بقى القلب بمنأى · ولن يبعث · عندما أحس بالألم الحارق فى أعلى صدره ظنها طلقة طائشة ، وألقى به الخوف الى الارض · وأكد الطبيب ، وهو يغادر الباب مهرولا :

ـ شظية صغيره ، الا انه نجا بأعجوبة ٠

وقال شاب يضع الرشاش على ركبتيه :

ـ كل شيء يجري باعجوبة ، كنا المنتصرين ، فأصبحنا المنهزمين وغدا ترتفع شعار لا غالب ولا مغلوب ٠

فانتفض المؤمن صائحا بغضب :

ـ لا غالب الا الله

وقالت الزوجة تعاتب الشاب المسلح بلين :

ـ لقد خربتم كل شيء ٠

وأتم أحد الحاضرين متحسرا :

ـ وسرقوا كل شيء ٠

وعقب المؤمن مترنما :

ـ سبحان العاطي بغير حساب

وصاح طفل بحماس :

ـ رأيت مسلحا يحمل على كتفه رجلا حيا ويجري به ٠

قالت الام :

ـ ربما كان المحمول مصابا

أجاب الطفل وقد اشتد حماسه :

ـ لا لم يكن مصابا وانما كان يصرخ باكيا : والله لم أقتل أحدا ، لم أقتل أحدا ، لم ٠٠

أشار المصاب بيده أن اصمتوا ، فصمتوا جميعا ، ونهض الشاب المسلح مغادرا وهو يهنىء الزوجة بسلامة رب البيت ، وتبعه آخرون ٠ ولحق الطفل بالمسلح يتحسس الرشاش بشغف ٠ ودوى انفجار هائل اعقبه صراخ الامهات ٠ وتضاربت التنبؤات في الزقاق :

ـ أكثر من عشرين قتيلا ٠

ـ ومئات الجرحى

ـ لا ، لا ، بضعة قتلى فقط من النساء والاطفال

ـ لم يقتل أحد على الاطلاق ، لان الانفجار كان فى الجو

ـ وهل رأيته أنت ؟

ـ ألم تنتبه الى الدوى ؟

ـ أى دوى ؟

ـ متى ننتهى من كل هذا ؟

ـ كل شىء يجرى الكترونيا

ـ هناك من يتمنى استمرار العراك

ـ لقد امتلأت الجيوب

ـ وامتلأت المنازل ٠

ـ القتلى يدفنون بالجملة

ـ والله لم نعد نفهم شيئا من شىء ٠

قالت الزوجة وهى تمسح جبين زوجها بخرقة مبللة :

ـ عندما تتحسن صحتك سنعود فورا الى القرية

قال الزوج متوجعا :

ـ الى القرية ؟٠٠ ليتنا لم نبع الارض والبيت

قالت الزوجة بصوت مختنق :

ـ ان الله كريم ، هناك الاهل والاقارب ، وهناك ٠٠ هنـاك اليهـود الذيـن يقدمون ، كما سمعت ، شتى المساعدات ، على كل حال لا يجب أن تفكر بذلك ، بل حاول أن تنام قليلا ٠

قال الزوج باكيا :

ـ ومن أين يجىء النوم ، ان الموت لافضل ، والله ، من كل هذا

قالت الزوجة لنفسها : والله ان الموت لافضل ٠ وعندما حاولت أن تبتسم له مؤاسية تغضنت قسمات وجهها فانصرفت تبكى سرا ٠

ج٠ ص٠

طبيعة وكذا بالكتيك

بقلم: الطبيب الحر

قال كارل ماركس : « حين كنت أكتب الجزء الأول من رأس المال كان أبناء الجيل الجديد أولائك الاولياء المتهورون التافهون يباهون بانهم ينظرون الى هيجل نظرتهم الى كلب ميت ٠٠ لذا بادرت وأعلنت صراحة أنني لست إلا تلميذا لهذا المفكر العملاق ٠ »

* * *

خلاف مذهبي لا منهجي :

ان الخلاف بين الرجلين يكمن في الحقيقة في « المذهب » دون « المنهج » ٠ فما معنى هذا ؟ ٠ يقول كارل ماركس في ج ٢ من رأس المال « ان منهجي الجدلي لا يختلف في أساسه عن المنهج الهيجلي فحسب ، بل هو نقيضه تماما ٠ فحركة الفكر التي يجعلها هيجل ذاتا يسميها الفكرة فهي عنده صانعة الواقع ، وليس هذا الواقع الا الصورة الظاهرية للفكرة ٠ أما عندي فحركة الفكر ليست ، على العكس ، الا انعكاسا للحركة الواقعية منقولة ومحولة الى المخ البشري ٠ »

ويزيد انجلز توضيحا لهذه الفكرة في كتابه « لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الالمانية » فيقول : « فقد اعتبرنا أفكار مخنا ، من وجهة النظر المادية هي انعكاسات للاشياء الواقعية ، بدلا من أن نعتبر الاشياء الواقعية انعكاسات لهاته المرحلة أو تلك من مراحل الفكرة المطلقة ٠٠٠ وبهذا الاعتبار ، يتحول الديالكتيك الى علم بالقوانين العامة للحركة بالنسبة للعالم الخارجي كما هو

بالنسبة للفكر الانسانى · نوعان من القوانين متطابقان فى الواقع وان اختلفا فى مظاهرهما ··· » (1)

لم يفعل ماركس وانجلز شيئا غير قلبهما للجدل (الديالكتيك) الذى هو « المنهج » و « المنطق » عند هيجل · فبعد أن كان « يمشى على رأسه أصبح يمشى على رجليه » ·

يقول الاستاذ امام عبد الفتاح امام فى كتابه عن هيجل (2) : لنفهم هذا القلب المشار اليه فى ج 1 من رأس المال لا بد من الانتباه الى ما يلى :

1) ان ماركس كان ماديا فبدأ بداية مختلفة عن هيجل · وهذه أخطر ما يجب أن يلفت نظرنا ·

2) ان ماركس كان ملحدا بعنف ، فكان يحمل فى نفسه كرها شديدا للاهوت ، وما يتجاوز عالم الحس ، ولذا فقد ربط بين مثالية هيجل واللاهوت المسيحى « فرأى فى مذهب هيجل المثالى الاه المسيحية الغربية » ورأى فى فلسفة هيجل عرضا نظريا تجريديا للعقيدة المسيحية او هى المسيحية مصاغة فى صورة أخرى (3) ·

حتى أنه اتخذ من عبارة اسخيلوس ــ التى ذكرها على لسان بروميتيوس ــ شعارا للبحث الذى تقدم به لنيل الدكتوراه وهى : « فى كلمة واحدة ــ انى أكره جميع الآلهة ··· » (4)

---

(1) Friedrich Engels, Ludwig Feuerbach et la fin de la Philosophie Allemande. Editions sociales Paris 1966 P. 60

(2) المنهج الجدلى عند هيجل · رسالة ماجستير فى الفلسفة من كلية الآداب جامعة عين شمس ط دار المعارف بمصر 1969 ص 328 ص 330

(3) كارل ماركس فى كتابه « العائلة المقدسة » .La Sainte famille

(4) KARL MARX, FRIEDRICH ENGELS, sur la réligion Editions sociales Paris 1960 P. 14

يقول كارل ماركس عن بروميثيوس Prométhée بأنه أنبل القديسين والشهداء الذين عرفهم تاريخ الفلسفة ص 14 · يقول بروميثيوس ترجمة « بول مازون »

Je hais tous les dieux, ils sont : mes obligés, et par eux je subis un traitement inique.

ان هذا يفسر نفرته الشديدة كلما اصطدم بكلمة « الله » او « المطلق » أو غيرها من الافكار التى تدخل أساسا فى مذهبه المثالى . وقد عبر لينين بوضوح عن هذا المعنى حين قال : « إن اللوحة التى يقدمها لنا منطق هيجل عن العالم تكون جليلة حقا ورائعة لو اننا أسقطنا منها « الله » و « المطلق » » .

3) انه يسلم بأن الجدل الهيجلى هو الصورة الوحيدة لجميع أنواع الجدل ولكنه يعيب على هيجل تطبيقه المثالى ، ثم ان ماركس كان يعتبر أن حياة « المنهج » تكمن فى التطبيق لان ذلك هو الذى يعطى له معنى وقيمة .

4) ان هيجل يؤمن بأن « المنهج لا ينفصل عن موضوعه انه المضمون فى ذاته ، وما يكمن فى هذا المضمون من جدل هو الذى يحركه » . وماركس يرى نفس الشىء فربط بين « المنهج الجدلى » و « المذهب المادى » فى وحدة عضوية مثل هيجل الذى ربط بين « المنهج الجدلى » و « المذهب المثالى » . وما قام به ماركس هو فصل « المنهج » عن « المذهب » . **يتضح من ذلك أن الخلاف بين الاستاذ والتلميذ يكمن أساسا فى تصور كل منهما للكون وفى تحديد العلاقة بين الفكر والوجود ، أيهما له السبق المنطقى .** فسار التلميذ من الطبيعة أو المادة او الواقع الحسى الى الفكر وكل البناء الفوقى للانسان . بينما كان الاستاذ قد سار من الفكر المطلق او المجرد الى الطبيعة او المادة او الواقع الحسى .

ذلك هو الخلاف الجوهرى بينهما . وما يجب أن نلاحظه هنا هو ان الاجابة على هذه العلاقة بين الفكر والوجود او المادة هى فى جوهرها اجابة ميتافيزيقية أو هى بلغة هيجل نفسه اجابة مثالية ، اذ قال : « ان كل فلسفة هى بالضرورة فلسفة مثالية » . فالخلاف بينهما هو اذن خلاف مذهبى لا منهجى . هناك اتفاق تام — يعسر معه كما سنرى القول بوجود جدل مادى مستقل — حول المنهج أو طريق السير الجدلى بمقولاته ، واتفاق حول اعتبار الجدل هو منهج الفلسفة بالذات ، واتفاق حول رفض الميتافيزيقا كمنهج أى منهج : الاستقرار ، السكون ، الهوية المجردة ، النظرة المحدودة الضيقة وحيدة الجانب ، فقيرة المضمون ، فاذا كان الاتفاق بينهما الى هذا الحد ، فلماذا الانفصال عن هيجل حينئذ ؟ يفسر انجلز ذلك بانه عودة الى المادية وتحرر من التصور المثالى للجدل الهيجلى ذلك الجدل الذى « طواه النسيان » . وقد طبق ماركس هذا المنهج على علم تجريبى هو الاقتصاد السياسى ، كما يظهر بوضوح فى رأس المال ج 1 . ثم نجد انجلز يصرح فى مناسبة بأن « مذهب هيجل هو نفسه المذهب المادى فى وضع مقلوب » .

المـادة في التصور الماركسي :

إن العالم الذى يحيط بنا هو عبارة عن أشياء كثيرة تتنوع بتنوع خصائصها وأشكالها واحجامها ووظائفها ... الخ ولكنها تؤلف كلا واحدا هو ما نعبر عنه بـ « الطبيعة » إن هذا الكل رغم التنوع والاختلاف داخله تجتمع عناصر بنائه فى خاصية واحدة هو كونها توجد وجودا مستقلا عن الشعور، أى تملك وجودا موضوعيا خارجا عنه . كما أن الشعور والوعى هما بدورهما قد وجدا فى مرحلة من مراحل تطور الطبيعة كنتاج لها (5) ذلك أن المنطلق فـى الماركسيـة هـو الايمان بأولوية المادة على الشعور والوعى . فما هى المادة ؟ ان التصور القائم للمادة فى عهد ماركس وانجلز وقبلهما فى عهد هيجل يستند الى علوم عصرهم التى ترى أن المادة هى عبارة عن **جواهر** ساكنة غير متحركة وغير قابلة للانقسام أو الاختراق. ولكن اكتشاف بنية وتركيب الذرة ودراستها كشف النقاب عن تلك الجواهر ، فأصبحت الكترونات ثم ما هو أصغر من الالكترونات ، فلم يعد **للمادة** من الاوصاف المعهودة شىء. يقول عالم الفيزياء الفرنسى ألفرد كاستلر ALFRED KASTLER المتحصل على جائزة نوبل 1966 بأن المادة فـى نظر عالم الفيزياء لا وجود لها لانها نوع من الطاقة (6) أو هى « **طاقة مركزة** » على حد تعبير ألبيرت انشتاين

---

(5) انظر دراستنا عن « تعريب » الماركسية مجلة الفكر نوفمبر 1976

(6) ننقل قوله فى نصه الفرنسى من تصريح لـه لأحـد الكتـاب المسيحييـن Christian Chabanis الذى أجرى حوارا مـع مختلـف التيـارات الالحاديـة فـى الفكـر الفـرنسى وجمعهـا فـى كتـاب تحـت عنـوان Dieu existe-t-il? Non repondent...... وقد صنف تيارات الالحاد هذه الى :

أ) الالحاد العلمـى Athéisme scientifique مـن هـذا التيـار عـالم الفيزياء ، عالم الطبيعة ، عالم البيولوجيا ، عـالم الانثرولوجيـا ، عـالم الاجتماع ، عالم الاقتصاد ، عالم التحليـل النفسـى . ومن بيـن هـؤلاء ألفرد كاستلر هذا .

ب) الالحاد السياسى : Athéisme Politique : من هذا التيار ، فيلسوف تاريخ ، مناضل شيوعى ، محلل للحياة السياسية ، وفوضوى .

ج) الالحاد الاجتماعى : من هذا التيار : موظف عادى ، طالب وزوجان .

د) الالحاد الانسانى : Humanisme Athée من هذا التيار كاتب

ونتيجة لهذا التطور فى مفهوم **المادة** ظهرت أزمة فى قلب النزعات المادية فى الفلسفة ، وكان لينين أحد الذين انتبهوا الى هذا الخطر فكتب كتابه المشهور الصادر سنة 1909 : « المادية النقدية التجريبية » (7) والكتاب كما يقول الدكتور مراد وهبة هو إضافة نظرية للماركسية وللفكر الانسانى بصورة عامة كما أنه اضافة عملية لانها تنصب على فهم الواقع قصد تغييره · يرى لينين أن التطور الحديث للفيزياء يشكل خطرا على المادية الميتافيزيقيـة التى تطـرح مشكلـة الجوهر الصميمى الساكن للمادة ، لا على المادية الجدلية التى لا تهتم بالتفتيش عن ماهيات جامدة ، وانما هى تفهم العالم على انه حركة مستمرة دائمة تخضع لتبدلات ثابتة · ويرى لينين أن كل مبدإ علمى يتعلق بتركيب المادة وخواصها لا يمكن أن يملك الا قيمة نسبية وتقريبية لذا فقد عرف المادة بأنها « مقولة فلسفية من شأنها ان تحدد الحقيقة الموضوعية كمـا تبـدو للحـواس وتؤثـر عليها »· إن المادية تعنى أن العالم الخارجى مستقل عن الادراك الانسانى ثم تعنى أن المعرفة تتخذ من المدرك الحسى نقطة بداية ، ولكنها لا تقـف عنـده والسبب

فنان ، عالم أخلاق ، فيلسوف (هو روجـى قـارودى المفكـر المـاركسى الفرنسى المعروف) ·

يقول كاستلر KASTLER : « Pour le physicien la matière n'existe plus. La matière est une forme de l'énergie, la matière étant une *condensation d'énergie*. La matière peut apparaître ou disparaître. Nous connaissons des phénomènes de dématérialisation où la matière se transforme en rayonnement, le rayon gamma n'est plus de la matière mais des ordres électromagnétiques qui se propagent à la vitesse de la lumière. Et nous connaissons le phénomène inverse : la matérialisation d'un photon, d'une particule, d'une onde électromagnétique en matière.» E D. Fayard 1973 p.25

(7) ــ د· مراد وهبة : مقالات فلسفية وسياسية ط 1 الانجلو المصرية 1971 من ص 104 حتى 109 ·

ــ د· الياس فرح ، تطور الفكر الماركسى ط 1 دار الطليعة 1968 مـن ص 34 الى ص 38 ·

ــ يقول المفكر الماركسى المصرى محمود أمين العالم بأنه كان قبل اطالعه على هذا الكتاب مذبذبا بين التصورات الماركسية والميتافيزيقية وبقراءته له « تحقق التجانس بين تصوراته الفكرية ونضاله الوطنـى والاجتماعـى » راجع تصريحه لـ « المجلة » القاهرية سبتمبر 1970 ·

فى ذلك هو ان الوقوف عند المحسوس هو وقوف عند الظاهرة ، والظاهرة نسبية لانها مباينة لحقيقة الشىء ، أى للحقيقة المطلقة التى ليس فى مقدور الانسان ادراكها ، بل فى مقدوره فقط الاقتراب منها شيئا فشيئا لان المعرفة نسبية . وهذا يفضى الى القول بأن هناك علاقة جدلية بين المطلق والنسبى ، أى امكان معرفة الحقيقة المطلقة مع عدم البلوغ اليها لان هناك تناقضا بين الفكر الانسانى من حيث هو مطلق ومن حيث هو محدود فى تحققه عند كل انسان على حدة . ولا يمكن لهذا التناقض ان يرفع الا فى تقدم لا متناه للانسانية . وهذا معنى الايمان بالتقدم الانسانى الدائم وبأن الحركة التاريخية حركة جدلية نحو مزيد من النضج والتطور ، ان اغفال هذه الجدلية بين المطلق والنسبى أو عدم الوعى بها يفضى الى أحد أمرين لا ثالث لهما :

أ) الوقوف عند المطلق وهذا معناه التزمت والتعصب ويلازم هذا الموقف الجمود والتحجر وعدم القدرة على الحركة الهادفة .

ب) التحرك عشوائيا على أرض النسبى وهذا معناه الاكتفاء بالنسبى أى التحرك دون اتجاه وبالتالى التشكك وهذا يلازمه عدم القدرة على التأثير فى الواقع . وكلا الموقفين يتنافيان والثورة التى تستهدف التغيير الجذرى للواقع القائم ، أى تجاوزه من أجل الانسان لانه صانع التغيير ، وبالتالى صانع التاريخ فالانسان هو الغاية وهو الوسيلة فى كل تغيير .

خصائص المادة :

تتصف المادة فى رأى لينين بـ :

1) الحركة وهى أهم خصائصها النوعية الأزلية وليست صفة عرضية وهو هنا يلتحق بانجلز فى هذا التصور .

2) ليست الحركة مجرد تبدل فى المكان بل هى التبدل بصفة عامة ، فهى ميكانيكية ، فيزيائية ، كيميائية ، بيولوجية ، واجتماعية . وهى لدى الكائن الحى تشكل وحدة مترابطة لا يمكن انفصامها .

3) ان المادة لا متناهية وليس مبدأ انحفاظ الكتلة وانحفاظ الطاقة سوى تعبير علمى وتأكيد لنظرية أزلية المادة والحركة .

4) عدم قابليتها للنفاد .

5) ليست الحياة والشعور الانسانى مجرد تفاعلات كيميائية ، لان الشعور هو نسيج تفاعلات معقدة تقوم على تشابك الاحساس والادراك والتصور والفكر والعاطفة والارادة وهو « نتاج لا مادى » ولكنه وظيفة من وظائف المادة الدماغية المعقدة التركيب .

6) ان الزمان والمكان « مظهر من مظاهر وجود المادة ذات الحقيقة الموضوعية » فهما لا متناهيان وموضوعيان (8) بهذا التصور للمادة وخواصها عارضت الماركسية الفلسفات المثالية والمادية الاخرى .

المادة والديالكتيك

بما أن الحركة هى صفة ملازمة للمادة ، وهى حركة صاعدة تبدأ من الظواهر الاولية البسيطة لتنتهى الى ظواهر معقدة عالية . فهذا التطور من الادنى الى الاعلى يحدث فى نظر الماركسية بشكل عفوى دون تدخل ارادة عليا . وقد كنا لاحظنا أنواعا خمسة لهذه الحركة (9) ويمكن ضبطها ههنا فى مراحل ثلاث (10) :

أ) مرحلة دنيا تتمثل فى مرحلة المادة غير الحية ، واليها تنسب الحركة الميكانيكية والكيميائية والفيزيائية .

ب) مرحلة الكائنات الحية التى تحددها الحركة البيولوجية

ج) مرحلة عليا ، وهى المرحلة الاجتماعية التى تمتلك الشكل الاجتماعى للحركة ، ويعتبر الشعور ـ كما رأينا ـ هو النتاج الارقى للمادة .

ان المرور من مرحلة من هاته المراحل الى أخرى أعلى منها يتميز بظهور شىء جديد لا يمكن أن يرجع الى العناصر التى هى دونه فى المرتبة ، وبناء على ذلك

---

(8) كان نيوتن Newton ينظر الى العالم كشىء حقيقى فى ذاته ويقول عن الزمان أنه مستقل عن المكان وجاءت النسبية لتقول أنهما متصلان . أما الفيلسوف الالمانى **كانت** KANT (توفى سنة 1804) فيعتبر الزمان والمكان شيئا ذاتيا محضا ، أى مظاهر ذاتية للتصورات .

(9) انظر دراستنا عن « تعريب » الماركسية ، مجلة الفكر نوفمبر 1976

(10) د. الياس فرح ، تطور الفكر الماركسى ط 1 دار الطليعة 1968 من ص 38 الى 39 .

فان الكائن الحى لا يمكن تفسيره على ضوء القوانين الكيميائية والفزيائية وحدها ، لان الانتقال من مرحلة دنيا الى أخرى عليا يتم على شكل تطور نوعى وكان الدياليكتيك (الجدل) هو الحل لهذه الصعوبة التى تنشأ عن هذا التفسير للمراحل التى يتم من خلالها تطور المادة . والأصل فى كلمة « دياليكتيك » (الجدل) فى اللغة اليونانية التى ولدتها هو تبادل الرأى ووجهات النظر وتعارض الآراء ومن هذا التعارض تحصل نتيجة أو فكرة جديدة تتجاوز التعارض بين الرأيين (11) . « وقد لاحظ كارل ماركس ظاهرة مماثلة فى مجال التطور الاجتماعى ، فالصراع الطبقى بين البورجوازية والبروليتاريا سيؤدى بالضرورة الى قلب النظام الرأسمالى ، وبالتالى الى التطور والتقدم الاجتماعى . وقد وجد انجلز فى هذا القانون الذى وضعه كارل ماركس ، قانونا عاما ينطبق على الطبيعة أيضا . أى أنه يشكل قانونا أساسيا ينطبق على الحقيقة فى مجموعها وهكذا ولدت المادية الجدلية (12) » .

---

(11) كان الجدل معروفا عند الفلاسفة اليونان وخاصة عند هرقليط Héraclite (من 540 حتى 480 آسيا الصغرى) من عائلة مشهورة Ephèse ، كان فيلسوفا مؤمنا بالتحول الدائم لكل شىء ، فالبارد يصير حارا ، والنهار ليلا ، والحياة موتا . ان فلسفته تتعارض مع الفلاسفة الايليين Eléastes (بارمندس ، زيتون) الذين يؤمنون بالثبات كما تتعارض مع فلسفة الجواهر الثابتة لأفلاطون .

(12) د. الياس فرح ، المرجع نفسه ص 39 .

- ان اعتماد الماركسية (الدياليكتيك) (الجدل) يجعلها تتميز عن النظرة المادية الميكانيكية التى طبعت الفكر الفلسفى والعلمى طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر . فهذه المادية لا تميز فى الكون بين ظواهر دنيا وأخرى عليا . كما يجعلها تتميز عن الهيجلية لان الجدل فى نظرها مقصور على الفكر المجرد أو المطلق ، ان الماركسية جعلت منه قانون التطور العام للكائن أى للمادة وهو الوحيد (أى الجدل) القادر على تفسير التطور المعقد والمتنوع الاشكال للعالم الموضوعى .
- من المعلوم أن جان بول سارتر يعتبر انجلز هو الذى أفسد ذهنية ماركس ولذا فلقاؤهما كان فى نظره مشؤوما والحقيقة فى هذا الكلام كثيرا من التجنى والظلم للرجل .

تتميز المادية الجدلية بقبول الجدل الهيجلى وتطبيقه على المادة ثم هى تميز بين ديالیکتيك موضوعى وديالیکتيك ذاتى • ويعد الجدل الذاتى فى نظرها (تطور المفاهيم العقلية) انعكاسا للجدل الموضوعى (تطور الكائن نفسه) • وقد حاول انجلز ضبط قوانين الجدل الهيجلية نفسها فى ثلاثة قوانين :

أ) الانتقال من الكم الى الكيف أو العكس ،

ب) صراع الاضداد ،

ج) نفى النفى •

هذه القوانين هى التى صاغها سطالين فيما بعد فى كتابه « المادية الجدلية والمادية التاريخية » سنة 1938 بالطريقة التالية :

أ) الالتحام العام بين مختلف الظواهر •

ب) الحركة والتطور فى الطبيعة والمجتمع •

ج) التحول من الكم الى الكيف والعكس ،

د) الصراع بين الاضداد •

وعاد الماركسيون الى قوانين انجلز الثلاثة بعد موت سطالين مع الحفاظ على المبدأ الاول (الالتحام العام بين الظواهر) (13) وترتبط بهذه القوانين مجموعة من المقولات أى من العلاقات العامة بين الظواهر أهمها : العلة والمعلول ، القانون ، الضرورة والصدفة ، الواقع والامكان ، الحتمية والحرية ، فيقول جان بول سارتر (14) « لا شك أن ديالكتيك الطبيعة موجود عند هيجل ، لكنه يأتى فى مرتبة ثانية بعد ديالكتيك التاريخ ، وذلك باعتباره لحظة فى المنطق ، وتبين كتابات هيجل الاولى ، وهى دراسات تاريخية عن روح المسيحية وعن الوعى البائس ، أنها تريد أولا وقبل شىء ، تحقيق وحدة المعرفة عن طريق يتضمن البعد التاريخى فى هذه المعرفة ، ومع هذا فان رؤيا هيجل تظل مثالية • فهل السبب فى مثاليتها هو عدم تأسيسها ديالكتيك المجتمعات

---

(13) د• الياس فرح ، تطور الفكر الماركسى ، ص 40 •

(14) انظر مجلة الهلال ديسمبر 1968 ، و « المادية والثورة » لجان بول سارتر تعريب عبد الفتاح الديدى ط 1 دار الآداب بيروت 1965 •

التاريخية على ديالكتيك الطبيعة ؟ ٠ كلا ان هيجل كان مثاليا ، أكثر ما تكون المثالية فى « المنطق » لانه حمل الطبيعة ديالكتيكا مفروضا عليها من خارجها ٠٠

ــ ان انجلز أخطأ ، ذلك أنه لا توجد ثلاث قوانين فقط للديالكتيك ولا توجد عشرة قوانين ، ولكن يوجد الديالكتيك الذى يقرر بنفسه قوانينه ، فقانون نفى النفى الذى يؤدى الى الاثبات ٠ انه لا يعطى اثباتا الا داخل « كل » وبين « الكل » والاجزاء ، وبين الاجزاء و والاجزاء ، وبين الكل والكل ٠ وكل هذا فى اطار وحدة كلية ، وانطلاقا من هنا يصبح الانتقال من « الكم » الى « الكيف » وبالعكس ممكنا ، ان « الكم » ليس مجرد اضافة كمية بسيطة وانما « الكم » بنيان فى ذاته ، داخل عملية كلية ، ففى النظام الراسمالى مثلا وهو « كل جزئى »فى حركة يولد الانتاج الوفير من تحول كيفى فى الآلات وهو يحمل تحولا كيفيا فى الاقتصاد والمنتجات والمنتجين (الانتقال من النقابية ، الفوضوية ، الارستقراطية العمالية الى النقابية الجماهيرية وهكذا) ٠

وفى كل حالة من هذه الحالات يكون الديالكتيك ــ ككل ــ موجودا ، وكل قانون يعكس أثره على القوانين الاخرى ويكون الانتقال موجودا فى كل جملة من كل لغة وانطلاقا من هنا أراد هيجل وآخرون بعد ماركس (وأقول ماركس لانه نفسه كان غامضا بعض الغموض فى تناوله لهذه المسألة) من امثال انجلز، أرادوا أن يوسعوا الديالكتيك التاريخى لكى يشمل الطبيعة ، وهو ما يطلق عليه اسم المادية الديالكتيكية ، وهى بكل بساطة ما نسميه بديالكتيك الطبيعة، يتبين من هذه الملاحظات لسارتر أنه وقع ارغام الطبيعة على قبول الديالكتيك٠ ولم لا نرى موقفا لاحد ماركسيى القرن العشرين فى هذا الموضوع فها هو روجى ڤارودى Roger Garaudy الفيلسوف الفرنسى يرد على سارتر قائلا (15) « ان كتاب « جدل الطبيعة » لم يكن مقررا نشره » (16) كما

---

(15) مجلة الهلال ديسمبر 1968 ٠

(16) يمثل كتاب « جدل الطبيعة » المسودات الاولى التى كان يكتبها انجلز بغية تطبيق « الجدل الهيجلى » فى العلوم الطبيعية ٠ أما منهج الكتاب فهو يكمن فى الاعتماد على :
أ) منطق هيجل
ب) جمع الامثلة من مختلف ميادين العلوم الطبيعية تفسيرا وتأكيدا لمنطق هيجل واثباتا لصحته ٠

أنه يرفض تفرقة سارتر بين مفهومات ماركس ومفهومات انجلز عن ديالكتيك الطبيعة باعتبار ان المراسلات بينهما كانت تبرهن على أن ماركس تابع عن كثب بحوث انجلز في جدل الطبيعة ووافق عليها ، وتقبل نتائجها ، ولكن غارودي يوافق سارتر بأنه لا توجد قائمة نهائية كاملة قاطعة بالقوانين الديالكتية . ان القوانين الديالكتية المعروفة حتى الآن ، والتطبيقات الاجتماعية والتجارب العلمية هي وحدها التي تكفل لنا اثراء هذه القوانين . أين هذا الحوار العلمي من الكليشهات التي يحفظها البعض ويرددها ، فيخرلهم بعض البسطاء ساجدين .

ـ للبحث صلة ـ

نشرت تلك المسودات في الربع الاول من القرن العشرين تحت عنوان « جدل الطبيعة » ، فالكتاب اذن ليس كتابا في « الجدل » كما ان انجلز يقول بنفسه « لسنا معنيين هنا بتأليف كتاب في الجدل لكننا نهدف فحسب الى تبيين أن القوانين الجدلية هي القوانين الصحيحة لتطور الطبيعة ، وأنها بالتالي تصدق على علم الطبيعة النظرى » ويجب أن نعلم أن انجلز كان يفكر منذ عام 1873 في تأليف هذا الكتاب كي يبرهن فيه على أن قوانين الجدل الهيجلية تنسحب على المكتشفات العلمية التي ظهرت بعد وفاة هيجل ، ذلك أن هيجل عندما طبق « الجدل » على الطبيعة في القسم الثاني من المذهب كان يعتمد على علم الطبيعة في عصره ، علم مدرسة نيوتن . يقول انجلز « واليوم بعد أن ظهرت نظرة جديدة للطبيعة ، واكتملت مظاهرها الاساسية ، مست الحاجة من الجديد الى القيام بنفس المحاولة وفي نفس الاتجاه ... (جدل الطبيعة) . ولكن انجلز لم يتمكن من تحقيق هذه الرغبة تحقيقا كاملا وبقيت محاولاته فيها عبارة عن مخطوطات متفرقة وملاحظات مبعثرة لا يجمعها سياق منظم على الرغم من أنه بدأ يجمع مادته منذ 1873 مؤجلا الكتابة في الموضوع حتى يتفرغ لنقد آراء « دوهرنج Duhring » فأصدر كتابه المعروف « ضد دوهرنج Anti - Duhring » ، في جوان 1878 وبالاطلاع على الكتاب يتبين مدى استفادته من المادة التي جمعها من أجل فكرته الاولى للكتابة في « جدل الطبيعة » .

ولكن وفاة ماركس 1883 لم تترك له الوقت الكافي لانجاز عمله هذا فتفرغ لنشر المخطوطات الاقتصادية التي خلفها ماركس ولقيادة الحركة العمالية .

مِن ضحايا المقود

شعر : عبد المجيد شابية

جريا على عادتنا فى نشر القصائد والآثار التى تخرج شيئا ما عن الجد ننشر هذه القصيدة التى لا تخلو من مزح رغم جدية موضوعها .

من حنايا أضلعى أرسلت زفره ... وبعينى عبرة فى إثر عبره
آه من سيارتى ! قد أورثتنى ... فقر دنياى وآلاما وحسره
كنت أرجو النفع منها غير أنى ... قد لقيت بدل النفع مضره
فأنا لو لم أخف عنى هلاكا ... لتمنيت لها فى الحال كسره
بات همى اليوم بنزينا وزيتا ... وغسيلا تبتغيه كل مطره
وضمانا كلما مرت شهور ... ستة ، قد قدروه سبع عشره
وأداء إن أنا فى رأس عام ... لم أبادر به ألق ألف غصره
ولها فى مارس من كل حول ... موعد للفحص فى تونس مره
لى حذاء ، ولها زوج وزوج ... وحذاء خامس فى الخلف دهره
أزمة النفط لها كل اهتمامى ... كلما الأنباء ترويها بنشره
ولكم أدعو الى شرق وغرب ... بوئام وبسلم مستمره
لا اهتماما بحروب وسلام ... بل لكى لا يرفع البترول سعره
فلى اليوم من الخيل ثمان ... ليس تكفيها من النفط بحيره
واذا ما حرنت ذات صباح ... عن مسير ، خلتها جلمود صخره

ليس يجدى معها إر وزع ... إن أنا شغلتها تعوى كهره
صحت فى القوم هلموا أدركونى ... فأتانى صبية الحى بوفره
والى مستودع قد شيعونى ... وكأنى ميت يقصد قبره !
فرجة والله كانت – لو رأيتم – ... تضحك الثكلى ، وقد غابت مسره
وجرى « الصلاح » يهدينى التحايا ... إذ مع الصلاح لى إلف وعشره
ثم أضحى فاحصا هذى وهذى ... وبقيت ناظرا وعدى بحيره
بعد فحص قلت ماذا ؟ قال خيرا ... انها تبغى من الراتب شطره
فانبريت منشدا فى الحال لحنا ... : « أنا من ضيع فى الافلاس عمره ! »

أرأيتم يا رفاقى ما أقاسى ... من هموم جعلتنى اليوم عبره
لا تبالوا بعد هذا إن سمعتم ... أن أكلى عاد زيتونا وكسره
فاسألوا ذاك الذى فى مثل حالى ... هل من العقل له مثقال ذره ؟
وعلى (السمسار) دلوه لبيع ... وانصحوه ، إن للناصح أجره
فهى للأطفال حرمان مبين ... وهى للزوجة فى المنزل ضره
إن أصابت أسرة فهى لعمرى ... سرطان ، فاتقوا يا ناس شره
قال من أصغى الى : « ذا هراء ... فيم شكواك وما كنت بمكره
رب شاك فقره للناس يهذى ... ليس يدرى انه يظلم فقره ! »

ع. ش.

حى الزهراء – سوسة

لوحة
"أنا" و "هو"

بقلم : محمد الأمين خليفة

لـوحـة

أنا : لماذا أنت صامت ..؟!

هو : انى أتحدث .. ألا تسمع .

أنا : لا أسمع شيئا

هو : عجبـا ..!!

أنا : إنك تعبث ..

هو : إنه عبث محبب الى نفسى .

أنا : إننى لا أفهمك .

هو : لأنك لم تحى حياتى الماضية .

أنا : حياتك الماضية ..!؟

هو : نعم كانت حياتى صراعا مع الوجود ..

أنا : فهمت الآن ألأن وجودك كان صراعا ، أحببت أن تلعب اليـوم لعبـة أخرى لعبة العبث ..

هو : بل ان العبث أصبح عالمى .. وهو الذى أجد فيه متعتى .

أنا : انه منطق خاص لا أفهمه .

هو : إنك لن تفهمه ·· ومن يحاول أن يكون مثلى فيمن يحيا حياتك فكمن يحاول اقتلاع نفسه من حياته الماضية ·

أنا : ان لغتك أصبحت غير مفهومة عندى ··!

هو : لأنى أعبث ·· هل تفهم شيئا عندما يجتمع نسوة وهن فى « قيل وقال » ·

أنا : لا ·· لن أفهم شيئا ·

هو : هو الشىء الذى لا تفهمه هو عبثى وهى لغتى وهو وجودى وكيانى

أنا : ألهذا العبث لغة خاصة ··؟

هو : اللغة لا تهمنى ·

أنا : أهذا عجز منك أم من اللغة ؟!

هو : منا الاثنين !!

أنا : أننا نختلف فى ذلك ·· لغتى هى حياتى ·· والحياة ناقصة فكذلك لغتى

هو : يعنى أن لغتك تعيش بالحياة ومن الحياة ·

أنا : كما تشاء ··

هو : انها حالة انسانية خاصة ·

أنا : نعم ليست مثل ماضى انسانيتك

هو : نحن نختلف فى كل شىء ··!

أنا : لا فى الماضى فقط ·

هو : وفى معنى الانسان ··؟!

أنا : قد نختلف ··

هو : ألم أقل لك اننا مختلفان ·

أنا : انها محاولة منك ·

هو : هل تؤيدنى فيها ·

أنا : لا ٠٠ قد نلتقي اذا ما انت فهمت حياتي الماضية ٠٠

هو : حياتك الماضية ملك لك ٠

أنا : مثل حياتك في عبثها ٠

هو : لماذا تربط اللغة بالانسان ٠٠

أنا : لأن الانسان واللغة شيآن متلازمان ٠٠

هو : عبثي ٠٠ يتحدى هذا التلازم ٠

أنا : إنه منطق خاص بك ٠

هو : قل إنه منطق اللامعقول ٠

أنا : انت الذي تقول هذا ٠٠!!

هو : انها تجربة خاصة بي ٠٠ فيها ضياع ٠٠ فيها تيه ٠٠ وفيها أخيرا عبث وفيها الوجود او اللا وجود ٠٠

أنا : انها كللمات تعيشها في « صمتك » الخاص ٠٠!!

هو : إنه إبداع ٠٠ ولو كان في ظلام نفسي ٠٠

أنا : إن نفسي ليست مظلمة ٠٠

هو : لذلك ليس لك هذا الابداع

أنا : ابداع الصمت والظلام واللاوجود ٠!! ان ابداعي ضياء نفسي ٠٠ وحياتي مع لغتي الصاخبة ٠٠ لغة الحياة ٠٠

هو : إنك تتهمني باستعمال لغة القبور ٠٠

أنا : انه اختراع منك ٠

هو : انك تحشرني في عداد الاموات

أنا : نعم ان نفسك ميتة ٠٠ انك عاجز حتى عن ابراز خلجاتها ٠٠

هو : اني أسجل هذه الخلجات بلغة الصمت ٠٠

أنا : للصمت لغة ٠٠؟!

هو : نعم لغة من استحال عليه الكلام

أنا : إذن انت أبكم ٠٠!

هو : ربما ٠٠ ولكن للبكم لغة لا تفهمها أنت ٠

أنا : انت تعبر بلغة البكم ٠٠!!

هو : نعم ٠٠ بعيدا عن ثرثرة لغتك ٠٠

أنا : انها لغتك لغة من ليس له لغة ٠٠ انها لغة الكآبة واليأس ٠٠ لغة من انعدم لديه نور النفس ٠

هو : انها أخلاقيات : ٠٠ نور ـ ضياء ٠٠ ثم دين ٠٠

أنا : لم أقل هذا ٠٠ ان ظلام نفسى قد سطع فيه نور من ماضى او حتى من حاضرى الذى يختلف عن ماضيك وحاضرك ٠

هو : عدنا اليها ٠٠ ماضيك وحاضرى ٠!

أنا : نعم٠٠ كل ماض فيه دين٠٠ ولكن حاضرك فيه أشباح٠٠ كله هذيان ومن ثم فهو عدم او لا وجود ٠٠!!

هو : انك اصبحت تستعمل منطقى الخاص ٠٠

أنا : لقد تعلمت ٠٠ لكن سأسلك طريقا الذى تلهو فيه وبه ٠٠

هو : تسلك طريقا فيه الحياة ٠٠؟!

أنا : نعم طريقا فيه حياة جديدة ٠٠ تختلف عن حياة الاشباح ٠٠ أشباح الموتى ٠!!

هو : انك دائما تحلم بالبطولة : حياة جديدة ٠٠! حياة ملؤها السعادة٠٠ والنور ٠٠ والضياء ٠٠ انها كلمات اصبحت اليوم بدون مدلول ولا معنى ٠٠ بعد ان عرفتها أنا بالامس ٠٠!!

أنا : انه القنوط واليأس البشرى ٠٠!

هو : لم أعد أشعر به ٠٠ فانى أحيا فى ذاتى ومن أجل ذاتى ٠٠

أنا : انها أنانية مفرطة فى ظلام الذات ٠٠

هو : ومتى انعدمت الانانية من الانسان ·· اما ظلام الذات فهـو عالمـى الذى أبغى اكتشافه ··

أنا : سوف لا ترى الا الظلام والاشباح ··!!

هو : ·· نعم اشباحا ·· ولكن على حقيقتها العارية ··

أنا : بعيدة عن اخلاقيات الموجودات ··

هو : نعم اللا موجود فى الواقع ·· ولكن موجود فى نفسى ·· فى عرائـه وقبحه وتناقضه وعاره ورعبه ··

أنا : انه عالم غريب ··!!

هو : إنه عبثى ·· ومن ثم حياتى فى ظلامى ··

أنا : انه ظلامك انت وحدك ·· فى عالم صنعته أنت بنفسك ··!

هو : انه عالم غريب ·· ولكن أحب هذه الغربة ··

أنا : ما أفظعها من غربة ·· وما أوحشه من مقام ··!

هو : تريد أن تقول أن نفسى « كالمستنقع » فيها كل ما تزور منه النفس وما يمجه العقل ··!!

أنا : نعم ·· ليس فيها ضياء ولا بهجة ··

هو : الضياء والبهجة لا وجود لهما فى الظلام المكثف ··

أنا : ما أتعسها من نفس هذه نفسك ·!!

هو : وهل عرفت أنت نفسك فى عالمك الخاص ··؟!

أنا : عرفتها بهذه البهجة ··

هو : انها فقاقيع النفس ·· لا معنى لها ·· تتلاشى فى الفضاء ··

أنا : ما أقدرك على التصوير ··

هو : انها براعة اكتسبتها من نفسى ··

أنا : حتى براعتى لا تستطيع انكارها ·

هو : انها براعة من لا يميز ما بين النفس والواقع ··

أنا : انك تغرق نفسك فى مستنقعها ..!!

هو : قد استخلص الحقيقة التى عجزت انت عن ادراكها ..

أنا : أنا لم أعلن عن عجزى .. انما انت تعكر صفو نفسى بمحاولاتك ..! فى هذا الظلام بعيدا عن النور ..

هو : وهل ادركت مثلا انت حقيقة الله من خلال هذا النور ..؟!

أنا : نعم أدركتها من خلال الواقع والنفس ..

هو : أنا ما زلت أفتش عن هذه الحقيقة .. فى مستنقع نفسى .. وقد لا أجدها .. فهى لعبتى ..!

أنا : انه عالمك وحدك الذى لا يشعر الا « بما يحس به » فى نفسه المعكرة ..

هو : لانى ادرك حقيقتى .. وتفاهتى فى هذا الوجود .

أنا : هذا احتقار منك لنفسك ..!؟

هو : انها معرفة لنفسى ..

أنا : لانك تدرك خلود النفس .. وزوال الانسان ..

هو : يظهر أنك أصبحت من صفى ..

أنا : لن أكون بجانبك .. فما عجزت أنت عن ادراكه فى محيطك الخاص وحاضرك وماضيك .. سأعمل أنا على ادراكه بطريقتى الخاصة .

هو : ما هى هذه الطريقة ..؟!

أنا : أن لا أيأس من النور الساطع من النفس البشرية فى ايمانها بخلود الانسان رغم زواله وبخلود النفس فى خلودها . فالانسان خالد بخلود نفسه .. هذا أملى وهذا كفاحى ..

هو : وهذا منطق جديد لا أعرفه ..!!

م.١٠خ.

التنفس بصعوبة

شعر : محمد الشابي

فى الصيف .. قد
ودعت وجهها
الجميل ...
رغم احتياجاتى
لوجهها الجميل ..
وعدت أقرأ ...
على مجلة ،
أن النسيم داخل البحر
عليــل ..
لم نتقابل بعد ذلك ...
ولم أر على الاطلاق
وجهها النبيل
الشمس بعدها على
أشدها ... ولم
يكن فى الارض
ظلها الظليل ..
أذكر أنى لم

أكن مبتهجا ... وما
وجدت للتخيل ..
سبيل ...
لأنه قد كان يغلب على
ظنى بأن ليس
لحبها .. بديل ...
وكان فى الواقع يا
أحبتى ، على
أن أسقط محزونا ذليل ...
فنحن جيل الحلم ،
والتمنيات .. والتوجه
الى المجهول ، من غير
دليــل ...

كان صديقى يشرب
القهوة فى مقهى ، وكان
يستلذ المستحيل ...

يقول لى : « إنى لا
أعرف بالضبط
متى سينتهى هذا التسوق
الطويـل ..
قد سقط الوجه الذى
أحبه ... فمع من
فى الصيف .. يبدأ الرحيل .. »

ها هى الاشياء .. بعد
فرقة ... تموت ، والحلم
على الارض قليل ...
فضمنى يا دهر بعض ضمة
وخلنى دقيقة لمن أميل ..

لتركب البمار من أحبها ...
فوجهها ، ما زال رائعا ،
جميـل ..

م. ش.

كتـب جديـدة

● فى ضوء القرآن والسنة

أهدانا مشكورا الدكتور التهامى نقرة كتابه الجديد « فـى ضـوء القرآن والسنة » الصادر عن الشركـة التونسيـة للتوزيـع . وهـو يتضمن بحوثا فى العقيدة والأخلاق والتشريع والمعامـلات والثقافـة الاسلامية . نهنىء الدكتور بصدور هذا الكتاب الجديد ونتمنـى لـه اطراد الانتاج .

● مجلة « الشعر »

صدر العدد الخامس من مجلة « الشعر » الذى يشرف على تحريرها الدكتور عبده بدوى وهى حافلة كالعادة بالدراسات الشعرية الهـامة وبالقصائد الجديدة للاعلام من الكتاب والشعراء. والمجلة تسد فراغا كبيرا وتخدم فنا لم يلق من التساؤل والتشكك فـى مصيـره مثلمـا يلقاه اليوم . نتمنى لهذه المجلة الاستمرار والنجاح فى إرجـاع فـن الشعر الى مكانته اللائقة به ..

مدينة النحاس وقراب العودة

قصة : بقلم مراد بن عياد

أشرفنا على نهاية المطاف حين كدنا نشرف على نهايتنا ٠٠ لاحت لنا المدينة بأسوارها الشامخة تزاحم بها السماء ٠٠٠ وبدت لنا أعمدتها الطويلة كأنها العمالقة أو كأنما هي فوهات مدافع ٠٠٠ أو مداخن ٠٠٠

لم نستطع أن ندقق فيها النظر ٠٠٠ أعيننا مرهقة أضناها السهر ٠٠٠ بطوننا خاوية ٠٠٠ ولو لم نكن على موعد مستمر مع السير والزحف لفكرنا فى أن نشدها بحجر ٠٠٠ مطايانا أنهكها السير واضمرها الجوع والعطش حتى كلت وتراخت ٠٠٠ ولم يبق الا أن تنطق بحيف البشر ٠٠٠ ولو كانت تنطق لما ترددت لحظة ٠٠٠

وصلنا المدينة فاذا أفراسنا تتسمر أرجلها فى الارض فلا تتحرك قيد أنملة ٠٠٠ كأنما قوى المغناطيس تشدها ٠٠ واذا هى تميل برؤوسها يمنة ويسرة وتصهل صهيلا لا عهد لنا به ٠٠٠ واذا نحن مشدوهون لا ندرى أفى يقظة أم فى حلم ٠٠٠ مدينة أعظم من الصحراء التى قضينا فى قطعها أياما وليالى ٠٠٠ أسوارها من حديد وأبوابها من حديد ٠٠٠ وأمام كل باب حارسان من نحاس وبيد كل منهما سيف من نحاس ٠٠٠

فوق المدينة عملاق أسود كأنه من الزبانية ، وقف ينفخ فى الصور :

« من يحاول تخطى الاسوار يلق حتفه » ٠

تقدم جماعة منا بشجاعة تاركين أفراسهم ٠٠٠ أشفقنا عليهم لانهم أسياد قبائلنا وفرسانها ٠٠٠ توقعنا أننا لن نراهم الى الابد ٠٠٠ بل لم نشك فى أنها النهاية بيننا وبينهم ٠٠٠ فهذه قلوبهم فوق الاكف وعلى وجوههم الموت مخيم ٠٠٠ وهم من ذلك غير مبالين ٠٠٠ تسلقوا الاسوار ببسالة تكاد تكون أسطورية ٠٠٠ وقفوا أعلاها ينظرون الى الاسفل بأعين شاخصة تكاد تفارق مواطنها ٠٠٠

اعتدل العملاق الاسود فى وقفته ... كشر عن أنياب بيضاء كبيرة كأنها صخور ناتئة ... قهقه بصوت كأنه الرعد أو كالبركان يخرج صوته من الجبل ... نظر الى القربان نظرة استهزاء وتحد وصاح فيهم : مرحى ... مرحى ... واذا أصحابنا يهوون من حانق الواحد تلو الآخر ... واذا بالهاوية تبلعهم آتية على آخرهم ... واذا هم يذهبون ضحية للغاية التى سرنا من أجلها دهورا ...

ثارت ثائرتنا... وغلى الدم فى أعصابنا ... لم تستسغ أفواهنا طعم الهزيمة ... سرى الخوف فى صفوفنا بعد أن فقدنا قوادنا ... وقام بعضنا يوصى البعض بالجلد ويرده الى صوابه ...

صوبنا سهامنا نحو الحراس ... أصاب بعضنا المرمى وأخطأ البعض... غير أن الحراس لم يتحرك منهم ساكن ... كأن شيئا لم يحصل ...

وأعدنا الكرة ... فلم نلبث أن ولت النبال القهقرى نابئة ... وتيقنا أنه المستحيل نطاوله وأن مثلنا كمثل من أقبل على جبل يريد تخريبه بابرة ... فولينا على أمل أن نعود بعد أن نتزود ... وبلعتنا الصحراء من جديد موغلين فى طرق وفلوات كأنها خيوط بيت العنكبوت تشعبا .

قطعنا من الطريق أشواطا حتى أشرفنا على أجمة كان خوفنا منها شديدا إذ توقعنا السباع ... وبينا نحن فى خوفنا وترددنا اذا بجماعة أشداء غلاظ بعضهم سمر والبعض الآخر فى لون الغراب ، يلتفون حول نار متأججة يبدو أنهم ينضجون عليها وعلا أو حيوانا يشبه الوعل ... واذا هم يدخلون فى حديث فهمنا أنه حديث جهاد ومغامرات ... فلم نشك فى أنهم قطاع طرق وأنهم سيسلبوننا أمتعتنا وأسلحتنا وينزعون عنا أثوابنا ... بيد أن أحدهم تقدم نحونا مبتسما وكان ذا بأس ، طويل القامة ، قمحى اللون ذا شاربين عريضين ولحية كثة وعمامة بيضاء وسخة وشعر متجعد يغطى الاذنين وملامح وجه تدل على التمرس والخبرة وعلى الثقة بالنفس وعلى شجاعة لا عهد لنا بها ... تقدم نحونا قائلا : « إن شئتم أن تنزلوا علينا آمنين فافعلوا ! أين تقصدون ؟ » قلنا : « نطلب القبائل العربية ونستنجد بها لعلها تعيننا على خصمنا صاحب المدينة » .

– « ومن تكونون حتى تستنجدوا بالقبائل العربية ؟ »

– « بيننا وبينها رابطة الدم ، هل أخطأنا الوجهة ؟ »

ـ « كلا وإنما عليكم مواصلة الطريق فلم تبق إلا مسيرة نصف يوم ٠ »

ـ « وهذا المكان ما يكون ؟ وأنتم من تكونون ؟ »

ـ « **هذه الصحراء العربية ، أما نحن فغربان العرب ٠** »

حثثنا السير حتى أشرفنا على حى آهل فاذا نحن إزاء رجل عليه ملامح السيادة وسمات الملك يستعد للخروج الى الصيد وفرسه قائم عليه سرجه ولجامه ينتظر سيده بشيء من الضجر ٠٠٠ فسألنا عن الرجل من يكون **فقيل : امرؤ القيس صاحب كندة فتوسمنا فيه خيرا ٠٠٠ فسلمنا وانتسبنا** فرحب بنا وسألنا حاجتنا فأطلعناه على أمرنا فامتثل واقفا وخطا خطوات فى بهو الامارة جيئة وذهابا وهو مطرق يعمل يده فى لحيته ولخطاه على أرض البهو وقع يدل على وقار منه وسلطان ٠

وفجأة هز رأسه نحونا ونظر الينا نظرة لا تخلو من صرامة وقال أريد أن **أصدقكم القول** : لقد بات ملك أبى مهددا وأخشى أن أضيعه فتعمل فيه الكلاب أنيابها ٠ وها أنتم تلقوننى وأنا فى حاجة ملحة الى **نجدة القبائل** ٠ ولكن ليكن ما يكون « فلا صحو اليوم ولا سكر غدا ٠ اليوم خمر وغدا أمر ! »

وودعنا وامتطى فرسه بسرعة كلمح البصر فاذا فرسه يكاد يطير والنقع **من ورائه كالدخان** واذا فرسه « جلمود صخر حطه السيل من عل » ٠

واصلنا المسير وأملنا يكاد يتحطم ٠٠٠ ولما ابتعدنا قليلا عن الاحياء الآهلة وكادت البيداء تبتلعنا من جديد لاح لنا غراب آخر شديد عظيم الهامة كبير الشفتين مدجج بالسلاح يمتطى فرسا بيضاء ٠٠٠ فاستوقفناه فوقف فسألناه من يكون فقول : « أنا فتى بنى عبس ٠ ما حاجتكم ؟ »

ـ « **نريد أن** نستعين ببنى عبس وما جاورها من القبائل العربية لمناوشة **صاحب المدينة العظمى** » ٠

ـ « **والله إنى لأكاد وحدى أكفيكم شر صاحبكم هذا ولكن أما سمعتم** تغريدا ؟ **إنه** صوت طائر أينما حللت فى ربع من هذه الربوع سمعته **فيشجينى** ! » ثم أنشد :

« يا طائر البان قد هيجت أحزانى

وزدتنى طربا يا طائر البان »

وما كاد يتم إنشاد البيت حتى همز فرسه بحركة جنونية وأفلت يسابق الريح حتى لكأنه الخيال !

سألت محدثي مستوضحا :

ـ « وما شأنكم وهذه المدينة ؟ كأني بكم ترومون صنع المستحيل فأين أنتم من عظمتها وشموخها ! وأين لحمكم ودمكم من حديدها ونحاسها ! والله إني لأخشى أن يكون مثلكم كمثل الرجل الذى حملوه رفع الصخرة الى قمة الجبل فاذا بلغ القمة دحرج الصخرة ونزل ليرفعها من جديد ! هكذا الى الأبد ! »

أجابني محدثي وكله يقين وثقة بالنفس :

ـ « نحن قوم لا نؤمن بالمستحيل ولا نستبعد المعجزة » ٠

سيتصلب لحمنا ودمنا حتى يبلغا قوة الحديد والنحاس فنجعل لقصتنا مع المدينة وأصحابها نهاية ثم نرجع لنحتضن ترابنا قصتنا مع صاحب المدينة قصة أجيال ودهور ٠٠٠ قصة مصير ٠٠٠ قصة حياة وموت يأكلان معا على مائدتنا ويتسابقان لالتقاط رغيفنا ٠٠٠ قصتنا مع العملاق الاسود ومع الحراس لا يمكن أن تهمل بل هي جديرة بأن تكتب بماء الذهب وتعلق على أستار البيوت المقدسة فى مشارق الارض ومغاربها ٠٠٠ فلتعلم يا رفيقى أن أصحاب المدينة أولئك الأوغاد قد أغاروا على قبائلنا فاغتصبوا أموالنا وسبوا نساءنا وقتلوا الشيوخ منا والعجائز وشردوا أطفالنا وصلبوا أهل الحل والعقد فينا ٠٠٠ وملأوا ما طاب لهم من أكياس القمح الذى سها عن حصاده ودرسه آباؤنا وإخواننا واستنزفوا من أجلهم دمهم وماء وجوههم ٠٠٠ لقد خلعوا خزائننا واحتجزوا العقود الملكية التى تثبت شرعية وجودنا فوق ترابنا ٠٠٠ ولم ينسوا أن يأخذوا كتبنا المقدسة بغية إحراقها وكذلك دواويننا وخطبنا ورسائلنا وتحفنا الثمينة التى خلفها أجدادنا فكنا نفاخر بها القبائل والامم ٠٠٠ »

قلت لمحدثي : « وما غايتكم من محاصرة المدينة أترومون تخريبها ؟» فأجابني محدثي الفدائي وقد أثرت فى نفسه الذكرى : « غايتنا لم تكن أبدا خلع صاحب المدينة عن عرشه أو تقويض ملكه ٠٠٠ غايتنا كانت أن نسترجع قطع اللحم والدم التى قدت من أجسامنا » ٠

م٠ ب٠ ع٠

اعطني حبا

قصة بقلم : حياة ابن الشيخ

بائسة أنا !

تائهة خلفك

ضائعة معك

ضعيفة قربك

يائسة بعدك

أفق حياتي حزن

حدود عمري شجن

وأيامي في غيابك محن ومحن ومحن

اليأس يمتصني

الملل يمزقني

الفراغ ينهشني

والضياع في هوة الجنون يبصقني

والجوع .. الجوع الى شفتيك يقتلني

فمتى .. متى أيها الوحش اللذيذ سترحمني ؟

شهر يمر .. وآخر .. وآخر . صيف وصيف . خريف وخريف . شتاء وشتاء، وأنا أحيا كنفسي معذبة، هائمة على سطح الثرى بلا مستقر ولا مصير.

أبكى ٠٠ أضحك ٠٠ أفرح ٠٠ أحزن ٠٠ أحقد ٠٠ أكره ٠٠ أحب ٠٠ أنسى ٠٠ أتعذب ٠٠ أجوع ٠ الايام تدور ٠ والسنون تعدو فى سباق مرير ، وأنا أمشى معها ، أمشى معصبة العينين فى طريق اللانهاية ٠ لا أعرف اين أسير ولا لماذا أسير ٠ انما أبقى أتدحرج كحصاة فى حقل الحياة الكبير تتقاذفنى الكوارث ، وتبعثرنى الهموم ٠ وابكى ٠٠ وأضحك ٠٠ وأحب ٠٠ وأكره ٠٠ وأفرح وأتعذب فى كل لحظة ٠ كالأمس ٠٠ واليوم ٠٠ وغدا ٠٠ وبعد غد ٠

البيت فظيع ٠٠ فظيع ، مثل أحزانى ٠ والنار فى قلبى ، وروحى ، وكل كيانى ٠ الانتظار يمتص رحيق الحياة منى ٠ والدموع تنهل من ثورتى ٠٠ من بقايا ايمانى ٠ وأنا تائهة ٠٠ شقية ٠٠ جائعة ٠٠ ظمآى ٠ أذوب ٠٠ أذوب كشمعة فى معبد مهجور نبذه كهانه ورجمته الآلهة ٠
كأسى تحطمت

سجارتى احترقت

أحلامى ذبلت

وأفكارى تدهورت

الماضى وهم وسراب ٠ الحاضر انتظار وعذاب ٠ والغد يأس ويأس وضياع بحر ضياعا ٠ أحيا ألوك الايام والزمن يلوكنى كعلكة مرة عسيرة الهضم ٠ يلوكنى ٠٠ يلوكنى ٠٠ ثم يلقى بى أرضا للاقدام تدوسنى والرياح تبعثرنى ٠

أبقى أجتر الذكريات والهموم تجترنى ٠ أعيش أمضغ شقائى وحرمانى ، والسنون تمضغنى ٠٠ تمضغنى لتبصقنى نقطة استفهام سوداء على صفحة الوجود ٠ نقطة مشوهة غامضة ٠ مهجة حيرى تبحث عن مصير ٠ مهجة صفعتها الحياة ٠٠ لطمتها الكوارث ٠٠ تقيأها الزمن ٠ أنكرها البشر ، وطاردها القدر ، مصيرها العدم والتشرد فى بيداء اللا معقول ٠

ركبت زورق الايام عنوة ٠ كان الزورق محطما مثقوبا ٠ ثقب البؤس والتعاسة تكسوه ٠ وكانت يداى ضعيفتين فلم تستطيعا ان تمسكا بالمجدافين ٠ فقد كانا يلتهبان تمردا ومرارة ولا ان تجدفا وسط العباب المتلاطم ٠ عباب الاحلام الهادرة المتكسرة على صخور الوهم واليأس المريع ٠

الزورق يترنح بى تتقاذفه أمواج الامال الثائرة ٠ يمتلىء مياها داكنة ٠ عكرة ٠٠ يكاد يهوى ٠٠ يغرق ٠٠ يرتطم على صخور الوهم الشاهرة أسنانها تمزقه ٠ وأنا بضعفى وشقائى اتخبط مع التيار الجامح وأنهار ٠٠ وأنهار ٠٠

يداى تنزفان دما ، لا تستطيعان مسك المجدافين ، فاتركهما حانقة ، وأترك جسمى الواهن ينهشه عباب الشقاء ليحطمه ويرميه شظايا على شاطىء الضياع والاســى ٠

دخلت بحر الحياة ولم أكن أحسن السباحة ٠ ركبت زورق الايام ولم يشتد ساعداى بعد على مسك مجدافى الزمن ، ولم يقدر جسمى الضعيف على مصارعة هدير الحياة ، فابتلعتنى أمواج الضياع وألقت بى فى دياجير الهاوية ٠

أيام تمر ، ليال تمضى وانتظار طويل مرير لا يمر ولا ينقضى ٠ نهداى ينتظران شفتيك لتمتصا حملتيهما الباحثتين دوما عن فمك العذب ٠ وكل كيانى ينتظر جسدك الدافىء ليهوى على جسدى الذى يشبه وردة فى أكمامها تنتظر أن تتفتح على يديك وعيناى تنتظران عينيك الساحرتين اللتين يسكن فيهما المكر والرقة على الدوام ، فتحكيان لى كلاما كثيرا ، غامضا ٠٠ كلاما لا أفهمه ٠٠ أخشى أن أصدقه ، انما أهفو اليه وانتظره ٠ أنتظره ليحملنى أنا وأنت فى شراع من الوهم اللذيذ نهيم ٠٠ نهيم معا فى بحر اللامعقول نتجاوز حدود الضياع لنرسو على سواحل جزيرة الجنون ٠ فنبقى نتمرغ على رمال الرغبة الجامحة يلفحنا هجير الشوق والجوع الابدى ٠

حين ضممتنى الى صدرك ، أحسست ان الله قد فتح لى أبواب قلبه وآلاف الملائكة قد نزلت من علياء سمائها راقصة على صدى سمفونية الحب والوصال ٠ ضممتنى وقبلتنى ٠ فضممتك أكثر وقبلتك أكثر وأكثر ٠ أخذت يداك تعبثان بجسمى المتحفز كطير صغير يتخبط بين خيوط شبكة صياد ماهر ٠ وراحت شفتاك تبحثان عن نهدى لتمتصهما ٠ والنار فى اضلعى ، والرغبة تسحق كيانى وأنا بين ذراعيك ، دمية فى يد طفل عابث مدلل ٠ تعتصر جسمى بيديك القويتين ، وأنا أعتصر شفتيك العذبتين بين شفتى الظامئتين ٠ ساعتها أحسست أنى أحب الله ٠٠ أحب قدرى ٠٠ أحب الحياة ٠٠ أحب الناس جميعا ، وأحبك أنت أكثر وأكثر من الناس جميعا ٠

النشوة تقطر من فمك ٠٠ والدفء يعشش فى صدرك ، فأتمنى أن أعيش العمر كله شفتاى فوق شفتيك وجسمى يتدثر بدفء رجولتك

الحامية فيهصرنى ليجعلنى رمادا فى مدفأة الغرام أتلظى على جمر الحنين ٠٠ والهيام ٠٠ و ٠٠

وأعود ٠٠ أعود ككل مرة عاشقة ٠٠ ثائرة ٠٠ جائعة لا اشبع ولن أشبع من جسدك الدافىء ٠ أعود حاملة الضباب فى عينى ٠٠ السراب على كتفى ٠٠ الحب فى صدرى والحنين الازلى اليك ٠

أعطيتك لحظات من اللذة

فأعطيتنى أياما من الضياع

منحتك نشوة وحبا

فمنحتنى شوقا ونارا

وهبتك هدوءا وأمنا

فزدت فى هياجى وثورتى

قبلت شفتى لتطفىء شرارة رغبتك

وقبلت فمك لازيد من عطشى ونار رغبتى المستعرة

اعتصرت جسدى بين يديك المرتعشتين ٠ عانقتنى ثم زدت فعانقتنى ٠ أشبعت نهمك وريحت رجولتك ٠ ثم أشعلت النار فى غرست الجنون واللهفة فى فكرى ٠٠ زرعت الاسى والشوق فى قلبى ورميت بذور الجوع والظمأ فى جسدى البكر ٠ فغدت ليالى لهفة وسهادا ، وغدت ايامى رغبة وانتظارا ٠ انتظار لحظات دافئة بين ذراعيك ، وقبلات مسكرة من شفتيك ٠

أحلامى دعوة اليك

عمرى وقف عليك

حياتى لحظة بين يديك

ومصيرى كله فى كلمة من شفتيك

لا تنفك عيناك تتبعان فكرى ٠ عالم من الضياع يزحف ويزحف ليجتاحنى ويرمى بى بعيدا ٠٠ بعيدا فى جزيرة الهوس والجنون ٠

والجوع ينهشنى
والظمأ يلهبنى
وتصرفاتك الحائرة تقرفنى
وأنا لا أعرف متى متى أيها الوحش اللذيذ سترحمنى ؟
يائسة أنـا !
تائهة خلفك
ضائعة معـك
ضعيفة قربك
يائسة بعـدك

أتدحرج مع الزمن ٠٠ اتجشأ همومى ٠٠ اتقيأ فشلى ٠٠ تتقاذفنى الكوارث ٠٠ تصفعنى الاحداث ٠٠ وتبصقنى السنون ٠ يداى خاويتـان من كل أنس ، وحياتى خالية من كل بشر ليس لى الا حبه يغزو فؤادى ويملأ حياتى به سوف أهزم الايام ، وأتحدى الزمن ٠

سوف أزلزل الوجود بلهفتى ٠٠ أحارب الدهر برغبتى ٠٠ وأقهـر الحيـاة بحنينى اليك ٠ سأهيم فى البرارى أنشد ألحان حبك ٠٠ سآتيه عبر الليالـى أحلم بلحظات قربك ، وأطعن صدر القدر لاصل حدود قلبك ٠ سأقتلـع قـرون الزمن لاقطف زهور ودك ٠ سوف أشعل الارض نارا وأمزق حجب السماء ٠٠ سأنتزع من الشمس الشعاع ، ومن القمر الضياء ، وأحطم حواجز السنيـن ٠ سأجتاز سدود كل مستحيل ومعقول وأحبك ٠٠ وأحبك ٠٠ وأحبك ٠

فأنا ما عشت لو ما كنت أحبك
وأنت ما وجدت لو ما كنت أحبك
والحياة بأسرها ما كانت لو ما كنت أحبك

ح٠ ش٠

الأدب ملحمة
يخلق الأديب من خلالها نفسه ويقرر مصيره

ليست المشكلة فى الاختيار بين الماضى والحاضر
بل أن نجمع بين القيم السامية والبضاعة العصرية

* * *

التراث الحضارى العربى الاسلامى
لا يعرقل الخلق الثقافى العصرى التقدمى

....

تتطلع الحركة الفكرية والادبية فى تونس الى الاديب المفكر الاستاذ محمد مزالى ، كواحد من قلائل شقوا الخطوات الاولى امامها منذ مطلع الخمسينات . ولعله حتى الان من القلائل بين جيله وجيل الشباب الجدد يحمل العبء الاكبر والاساسى فى تطوير ودفع هذه الحركة الرائدة لتحويل الادب التونسى الى رافد فعال فى الحركة الادبية والفكرية العربية . كما يعتبر محمد مزالى وزير

(*) ننقل لقراء الفكر نص الحديث الذى أجراه الاستاذ سعيد فرحات ، مندوب جريدة « القبس » الكويتية الغراء مع الاستاذ محمد مزالى مدير هذه المجلة ونشكر الاديب الصحفى اللامع على مجهوداته الموفقة للتعريف بالأدب التونسى (راجع الملحق الادبى لجريدة « القبس » العدد 1535 ــ المؤرخ فى 25 أوت 1976) ــ (الفكر)

التربية القومية الحالى رائد التعريب فى تونس : فقد طالب كوزيـر للتـربية بتعريب الادارة والتربية ، وكان السبب فى اتمام تعريب الفلسفة ٠

ومع فجر الاستقلال فى عام 1955 اصدر الاديب محمد مزالى مجلة « الفكر » التى أخذت على عاتقها رعاية وتنمية الذوق الادبى باللغة العربيـة فـى جيـل الاستقلال ورفاق النضال واستمرت « الفكر » رغم كل الصعـاب فـى الصـدور معبرة عن مسيرة الادب العربى فى تونس تحت راية الاستقلال والحرية وفتحت صفحاتها امام نسمات الادب المختلفة وفى وجه كافة التيارات الفكرية العالميـة والعربية ٠ وكان إيمان محمد مزالى برسالة الادب القوة الوحيدة فى توطيـد وجود هذه المجلة وانتشارها حتى انها أصبحت واحدة بين أقل من عشر مجلات ادبية شهرية تصدر فى الوطن العربى ، لها دورها الواضح فى خدمة ادب القصة القصيرة والشعر والدراسة والمقالة الفكرية والادبية ٠

ويصف رئيس اتحاد الكتاب التونسيين السنوات الاولى لصدور « الفكر » بانها كانت بداية ولادة الادب العربى فى تونس الحديثة المستقلة ٠

ويعتز الاديب الوزير لأن « الفكر » لم تتوقف على مدى 22 سنة ، وقد اصبحت احدى مجلات الادب المعروفة فى صفوف الادباء والمثقفين العـرب فـى المشـرق والمغرب ، حيث حافظت على مسيرتها وفتح صفحاتها أمـام كافـة الاتجاهـات والتيارات الادبية ، مؤمنة بان الفكر الانسانى يمتد ويلامـس العقـل والنفـس الانسانية فى كل مكان ٠

اما مسؤوليات الاديب الوزير فهى كثيرة ومناصبه متعددة فقد سبق لـه ان تولى وزارة الصحة ، والتربية كما كان مدير الشباب والرياضة ويرأس حاليـا اللجنة الاولمبية التونسية واختير قبل اسابيع بالاجماع رئيسا مساعدا للجنة الاولمبية الدولية وبالاضافة الى توليه حاليا وزارة التربية القومية ورئاسة اتحاد الكتاب التونسيين فهو يقوم بادارة تحرير مجلة « الفكر » والاشراف على موادها والمشاركة فى تحريرها ٠ وله عدة مؤلفات اهمها كتاب « مواقف » الذى يضـم مجموعة مقالات ادبية وفكرية حساسة ، وكتاب « من وحى الفكر » ، كما ترجم كتاب « تاريخ شمال افريقيا » للكاتب الفرنسى شارل أندرى جوليان ٠

وفى مكتبه بوزارة التربية القومية كان ينتظرنى بناء علـى موعـد مسبـق ، وعندما استقبلنى مصافحا مرحبا احترت فى شعورى أيهما طغت عليه : شخصية

الاديب الذى ناضل منذ ربع قرن فى بناء الحركة الادبية واسس اكبر مجلة ادبية فى المغرب العربى ام شخصية السياسى الذى تولى عدة مرات وزارات مختلفة ! لقد كان مزالى يبدو فى تلك اللحظة ابن تونس الحديثة الذى حمل لها على عاتقه رسالة الفكر والسياسة ليأخذ من الاولى ما يفيد الثانية ويعالج فى الثانية ما يحقق حيوية الاولى ٠

مشاكل الكتاب التونسى :

قلت لوزير الادباء واديب الوزراء :

افتتحتم مؤخرا ملتقى النشر والتوزيع الذى نظمه اتحاد الكتاب التونسيين وحضره مدراء دور النشر والتوزيع ٠ فما هى وجهة نظركم حول مشاكل الكتاب التونسى خاصة والعربى عامة وظروف نشره على ضوء مناقشتكم للموضوع وسماعكم لاراء الكتاب والناشرين فى هذا الملتقى ؟

ـ هذا الملتقى الذى نظمه اتحاد الكتاب فى المركز الثقافى الدولى بمدينة الحمامات كان غرضه الاول البحث عن الكتاب التونسى تأليفا ونشرا وتوزيعا ٠ ونحن نعتقد ان الكتاب التونسى يمكن ان يتبوأ منزلة اعلى من المنزلة التى يحتلها اليوم ٠

وبالرغم من التقدم الكبير الذى تقدمته دور النشر والتوزيع ، فالكتاب التونسيون يطمحون الى مزيد من الحظوة والعناية ، ويطمحون الى مزيد من المكافآت المعنوية والمادية ٠ واول مظهر من مظاهر المكافأة هو ان تنشر كتبهم بسرعة وان توزع فى تونس وفى كافة البلاد العربية توزيعا محكما ٠

وقال رئيس اتحاد الكتاب :

من اجل ذلك تحاورنا مع الموزعين والناشرين حوارا اخويا وصريحا ونأمل بالتعاون معهم ومع الجهات الرسمية المسؤولة ان نحقق شيئا فشيئا هذه الاهداف ٠

الاتجاهات الادبية

بوصفكم رئيسا لاتحاد الكتاب التونسيين ورائد الحركة الادبية منذ

الخمسينات من خلال مجلة « الفكر » ما هي الاتجاهات الادبية والفكرية التي تسود تونس اليوم ؟

وما مدى رضاكم عنها ؟

ـ اعتقد شخصيا بوجود عدة اتجاهات ادبية في تونس ، لكنها تنزع في اغلبيتها منزعا اجتماعيا ملتزما وتحاول ان تصور الواقع الاجتماعي والحضاري التونسي ، الذي يمتاز بالتحول والتطلع الى مزيد من الحرية والاشتراكية والعدالة · ويمتاز كذلك بالتناقضات التي تكاد تكون قدرا مشتركا بين جميع الشعوب التي داهمتها موجة المعاصرة والتقدم العلمي والتكنولوجي السريع · ومن بين هذه التناقضات ما يشعر به المثقف والاديب والمفكر من تباين بين الانتصارات العلمية والتكنولوجية العجيبة ، وسيطرة الانسان على المادة والطبيعة ، مما مكنه حتى من غزو الفضاء وبين عجز الانسان في غالب الاحيان على السيطرة على عالمه الصغير ، عالم النفس والذات الفردية · فهو يشعر بالانسحاق والوحدة وتهافت القيم واستحالة التجاور احيانا مع غيره من المناضلين وهذا ما يصوره المسرح المعاصر والقصة المعاصرة وما يعبر عنه الشعر باساليب تختلف حسب المدارس الادبية ·

الادب « المسعـدي »

هناك في تونس ما يسمى بالادب المسعدي ·· المتمثل في رواية « السد » للاديب محمود المسعدي (1) ما هو الدور المؤثر الذي يؤديه هذا الادب ·· وما موقفكم منه ؟ ··

ـ انا شخصيا اعتبر الاستاذ المسعدي أديبا كبيرا ومفكرا ممتازا وقد تتلمذت عليه في المدرسة الصادقية سنة 1945 · ومع اعجابي بانتاجه فقد عبرت في مناسبات سابقة عن اختلافي معه في نظرته للادب ، اذ يرى الاستاذ المسعدي ان الادب مأساة او لا يكون اي ان هذا الادب يعبر عن مأساة الانسان في صراعه مع نفسه ومع الطبيعة في هذا الكون ، وكان قدره ان يبقى دون ما يطمح اليه · وما

---

(1) هذه الرواية تمثل فلسفة الكاتب في الحياة ، ومحاولات الانسان الآيلة دائما الى نهاية الفشل والانهيار · ورواية « السد » صدرت منذ عشرين سنة واعادت طبعها الدار التونسية للنشر سنة 74 ، ولنا عودة اليها ·

انهيار « السد » فى اخر الامر بعد كل ما بذله « غيلان » بطل الرواية من مجهودات جبارة ، الا رمز لخضوع الانسان لنوع من القضاء والقدر ، ويعبر عن شعوره بالحسرة بسبب فشله فى آخر الامر ٠ (راجع رواية السد) ٠ اما انا فانى اعتبر ان الادب ملحمة ، أى ان الانسان فى امكانه اذا ما صح منه العزم ان يخلق نفسه ، ويقرر مصيره ، ويفرض ارادته على الاشياء ، اذا تواضع وتعاون مع اخوانه وتضامن وإياهم فى الانسانية ، والادب يصور الانسان قويا رغم ضعفه بل ربما لأنه ضعيف ، هش ، معرض للكسر والانكسار والهصر والانحسار ، لان المنزلة البشرية فى اعتقادى هى منزلة بين بين ٠٠ هى منزلة فوق المنزلة الارضية والحيوانية ، لكنها دون المنزلة السماوية والملائكية ٠ والادب الحق هو تصوير فنى لهذا الانسان فى عمله الجبار الذى يقوم به دائما ليكون بحق خليفة الله فى ارضه ٠

أود ان اعرف رأيكم فى قضية مطروحة دائما ، هل يكون التراث العربى أكثر من خلفية للثراء الادبى ٠٠ وارضية للعطاء الجديد ٠٠ واقصد ايضا هل نقف أمامه وقفة انبهار وعجز ام نتجاوزه فى الخلق والابداع لما يحتاجه زمان أجيالنا والاجيال المقبلة ؟

ـ فى اعتقادى الشخصى ان التراث الحضارى الاسلامى لا يمكن ان يكون عرقلة للخلق والانتاج الثقافى العصرى التقدمى ، لان الاصالة لا تتمثل عندى فى النسج على منوال الاقدمين ٠٠ بل فى استيحاء الماضى لعقل الحاضر واستشراف المستقبل ٠

التراث والمعاصرة

وتوقف الاديب الوزير محمد مزالى قليلا وبصره يسبح فى فضاء الاقدمين ثم قال بجدية واضحة :

ان كل المفكرين القدامى كانوا فى وقتهم مجددين ٠ فالذى يجب ان يعنينا منهم ليس المادة ولا المشاكل التى ولدت فى عصرهم وتجاوزتها احداث اليوم، وانما هو أولا وبالذات الروح التى أقدموا بها على تلك المشاكل والشجاعة التى اظهروها فى التقحم عليها والطرافة الادبية التى امتازوا بها فى كتاباتهم ٠

أما الازورار عن هذا الماضى والتراث بدعوى المعاصرة ، فهو انبتات وعقوق وتضحية ببعد من اعز ابعاد الذات الفردية والذات الجماعية ٠ ولهذا ليست

المشكلة في ان نختار ، بين التراث وبين المعاصرة بل المشكلة ان نعرف هل اننا نجمع بين الايمان بالقيم السامية وبين البضاعة العصرية ان صح التصوير والتكوين العلمي ٠٠ هذه هي القضية

ما هو دور مجلة « الفكر » من الحركة الشعرية في تونس ٠٠ وما موقفكم معها من الشعر المعاصر والشعر التونسي الجديد الذي يقف بين العمودي والحر ٠٠

ـ منذ تأسيس مجلة « الفكر » آلينا على انفسنا الا نتعصب لمدرسة شعرية دون اخرى بل ان نفتح المجالات امام كل المحاولات الشعرية ٠ ولذلك نشرنا وننشر الشعر الموزون المقفى والشعر الحر وما أطلقنا عليه نحن انفسنا لقب في غير العمودي والحر ٠٠ أي الشعر الجديد ٠٠ !

والمعيار الوحيد للنشر في « الفكر » انما هو معرفة هل ان هناك شعرا أو لا شعر ٠٠ ولا يكون الشعر شعرا الا اذا أوحى ونفذ الى القلب وحرك الوجدان واعطى رؤية كونية جديدة ٠ والتاريخ الادبي يفيد ان هذا النوع من الشعر هو الذي يكتب له الخلود واما ما عدا ذلك فهو مجرد محاولات ظرفية وجدل عقيم ٠

وفي هذه اللحظة كان الوزير مرتبطا بموعد خارج تونس العاصمة وكما أحسست بضيق الوقت امامي أحس هو بأن اسئلة اخرى كثيرة لدي ، فبادرني بقوله ، سوف لا يكون هذا نهاية حديثي الى « القبس » ففي زيارة قريبة للكويت وسننهي هذا الحديث الادبي هناك ٠

كتب جديدة

● هل تتكلم لغة فلسطين

هذا كتيب للشاعر المغربي محمد علي الرباوي ضمنه مشاعره نحو القضية الفلسطينية وهو رقم 3 من منشورات السلسلة الشعبية بوجدة (المغرب) ٠

● حكايات الى امرأة من بيروت

مجموعة شعرية أنيقة الطبع للشاعر خالد محي الدين البرادعي من منشورات دار الرسالة الكويت وردت علينا من الشاعر نشكره على هديته التي ترشح بالحب والجمال والعطر ونتمنى لكتابه الرواج ٠

رصاصة في قلب العبث

بقلم : رضا بن خميس

الاهداء : إليها تلك التى لم تتقدم لتكسر معى المحراب القديم ...

إليها تلك التى اختــارت أن تقبــع بحياء فى الظل وأن تقــول نعــم ! نعــم !...

* * *

خطوات الابتــداء :

فى المنطلق كنا مادة لزجة فى ظهر رجلين ..

وذات يوم أصبحنا أبعادا حالمة تنمو وراء ضباب مشوش ..

ثم تطور وجودنا الندى بتفرقع جنسى فى عمليــة شرعيــة ، تعانقــت فيهــا الخيول الجامحة ...

وحبلت بنا الايام بعدئذ طيلة سفرة شاقة فى بطن امرأتين ، ثم لفظتنا عظاما ولحما ودما على أرض الجحيم والعرق والجرح والدمع ...

المهــرب :

وكان لا بد ــ عزيزى ــ من أن نعرض ظهرين الى هذا الجلاد الزمانى ليلهبها ويحرقها ... فيعلو صراخنا مفزوعا ... يعلو ... ثم يتمطى فى مطارح السماء الفاجرة ، ويبحث لنا عن قمقمنا العاجى ، فنهرب اليه معا ... ونذبح وسطـه

« العبث » ، ونبدأ رحلة بلا عطش ۰۰۰ بلا جوع ۰۰۰ بلا قلق ۰۰۰ بلا تأزم على صهوة الدهر الهرمية المخشوشبة ۰۰۰

وكان الحب اذن ! حبا عنيفا يعانق الرب !۰۰۰

مسافرة جديـدة :

وبدأت تجربتي !۰۰۰ عرفت عندئذ أن ابحارا وجوديـا بدون عينيـك هـو ارتماء عبثي في طاحونة الوعي المنتحر فوق أرصفـة العمـر المشنـوق بحبـل الانهيار في النهاية المرقونة على دفتر الاجبار ۰۰۰

أجل ! أحببتك يومها ـ يا ثمرة العمامة ـ

أحببتك ... فنقشتك حروفا نارية على حائط الشعور الاخضر ۰۰۰

أحببتك ... فذبحتك معلقة شعرية بماء عروقي ، ومـاء **مقلتـي** ، **ومـاء أعصابـي** ۰۰۰

كنت أنت ـ حبيبتي ـ أول انثى تركبين قطاري ، المتخبط على سكك الاغتراب في جبال الجفاف والقحط والفراغ ۰۰۰

وعند ركوبك ، سالت شفتا قطاري الحزيـن عسيلا ، ومطـرا ، وقمحـا ، وزيتونا ۰۰ وانعطف مع المنعرج ، لينطلق من جديد في مسيـرة عملاقـة نحـو المطلق ۰۰۰

المنعـرج :

في الماضي ، كنت استنكف من أن أصلي في محـراب الحب أو تحت قبـاب المثالية ۰ كانت المرأة في مدينتي الوحشية مجرد بركة غارقة يسبح فيها جسد الرجل المغوار كلما سخن واحمر ، وثار ۰۰ ويركض فيها كالحصان حتى الكلال

وتهشم وجه الماضي شظايا ، عندما وقفت أنت في طريقي المحـدودب ، ذات لحظة ، وتغير منظاري للحياة ، والوجود ، والانسان ۰۰ وعرفت ان الحب هـو الرصاصة الوحيدة التي تقدر ان تلقي بالعبث في بالوعة الانعدام ۰۰ وعرفت أيضا ان المرأة ليست جسدا فحسب ، وانما شيئا أسمى ۰۰ أسمى ۰۰ وبزغت يومئذ نزعاتي الافلاطونية ، واعتنقت هجرة صوفيـة في قنـدول هـادىءعلـى أمواج بلا شطآن ۰۰

الاغتســـال :

بحبك ـ غاليتى ـ رحت أتوضأ ، وأغتسل من رجس الايام المنسلخة ٠٠٠

بحبك حطمت جلاميد نبتت طويلا على دربى ، وأرجعتنى طويلا القهقرى ٠٠ وطويلا جعلتنى أفر ٠٠ أفر من وجه الحياة ٠٠ نعم ، الحياة التى لـولا الافيـون الذى شربته من عمق عينيك ما كنت أقبلها ، وما كنت أتحمل مأساتها المقيتة ٠٠

الرسالة :

من أجل خلق انسان جديد فى أعماقك ٠٠ وفى أعماقى

من اجل اشعال الحرائق فى دماغـك ٠٠٠

من اجل حملك على عض الحديد الذى يكبل يديك ورجليك ٠٠

من أجلك أنت ٠٠ أنت فقط ، قررت أخيرا أن أعيش ، وأن أكـدح الـى ان يطل الشفق ، وان أعرق حتى يجف جسمى ٠٠ وأن أتجرع علقم المقاومة ضـد « مافيا » العدم ٠٠

نـــداء :

كنت قبل أن يزرعك القدر ـ قيمة خالدة ـ على شارعى المعوج ، كنت انسانا كأيها الناس ، أذبح قواى على شفرة الزمن الكلب ، دونما فلسفة ، دونما مثـل أعلى ، دونما معنى ، دونما حب ، تماما مثلما تعيش البهائم والحشرات والذباب على قطع السكر الوسخة ٠٠٠

كنت ـ حبيبتى ـ فى منحدر وعر ، موشكا على السقوط على وجهى فى حقل الجليد الجامد الذى يأكل من حذائى ورجلى ، ويثلج حركاتى : فلا عنقا مشرئبا، ولا يدا ممدودة الى الامام ، ولا أذنا حارسة ، ولا عينا مفتوحة ٠٠

وأطللت أنت عندئذ كخبزة فى ضوء قنديل ٠٠ أطللت بجمالـك الحـورى ، بنظراتك الشاردة فى أفق بعيد ٠٠ بمشيتك الناعسة ٠٠ وبالحلم الذى تخافـه القرية وأحبه أنـا ٠٠

القرية المقدســة ٠٠

التى تنكر الحب والحنان ،

لأنهما فى دستورها حرام ٠٠

ولأن اللقاء فى قانونها اجرام ٠٠ اجرام ٠٠

قريتنا ـ غزالتى ـ عجوزة حلوة الحديث والتخريف ، تؤمن « بالمكتوب على الجبين » ، وترمى فى الكانون « الجاوى » و « الوشق » و « الداد » لتتجنب العين ، وتسحق الجن والشياطين ٠٠ وتذبح القطط والفئران والكلاب والجراد على قباب الاولياء قربانا يبطل فعل السحر والشر والغرم٠٠ وتتقيأ باستمرار ديدان السخف والجهل والعار ٠٠

قريتنا الآكلة من حصير الزاوية ، والشاربة من زيت الزاوية ، والنائمة على عتبات الزاوية ، ترفض قطعا ان تحيل العواطف حريرا ، وتدمر القلوب « بنابالم » التقاليد ، وتقمع رهبان الهوى قمعا أزليا ، لانها لا تعتقد الا فى « الصداق » و « الهدية » والولائم الثرية ، و « وكل واحد يخو لحمة قد فمو » ٠٠

قريتنا ـ يا من أريد أن تزيل الضباب عن عينيك ـ ما زالت تخرف ٠٠ تخرف٠٠ تخرف وما لتخريفها من انتهاء الا بثورة شعواء٠٠ ثورة تعتقنا من ربقة الخرافة المهترئة ٠٠ خرافة الجدات المدفونات فى توابيت الانحطاط ٠

ر٠ ب٠

كتب جـديـدة

● ابـن الرومـى

أهدانا صديقنا الأستاذ أحمد خالد كتابا مدرسيا عن ابن الرومى بعد كتابه « ابن هانىء » فى سلسلة طرائف الادب العربى التى اعتزمت الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائرية اصدارها نشكره على هديته ونهنىء أسرة التربية على هذا الكتاب المفيد الذى يعين الاساتذة والتلامذة على فهم الادب العربى وخاصة اذا كانت الطبعة فى مثل هذه الجودة من الوضوح والسهولة وشكل الألفاظ وتفسيرها وليس غريبا أن يصدر هذا والمشرف على السلسلة أستاذنا وصديقنا عبد الوهاب باكير وسيصدر قريبا عن هذه السلسلة دراسات عن تميم بن المعز وابن زيدون والطاهر الحداد والمعتمد بن عباد ٠

عن يسار التعاليم

شعر
عبد الكريم
الطبال

معتاد فى سفرى قبل طلوع الصبح والليل
أن أسأل كالطفل
صوت أحاسيس الفوضى المعشوقة
لا أقطع تذكرتى
لست أسافر فى ساعة
لست أقيم اذا ما وصلت الى بيتى
أبحر فى الجدران
فيطوينى الماء
أمشى فى الأمواج
فتطوينى النار
أقرأ شعرا فى الورق الأبيض
أرسم بالورق الأبيض فى اللون
لكنى أقرأ روح الشعر
أرسم ذات الرسم
مقياسى : نبض النفس

ع٠ ط٠
ـ شفشاون ـ المغرب ـ

مطالعات

من كناشات صاحب الغليون

● « كلمات » البشير المجدوب

البشير المجدوب يدعونا فى كتابه الثانى الصادر عن الدار العربية للكتاب تحت عنوان / كلمات / (*) الى تكرار نفس الاصغاء المهتم الى العزف المنفرد على ضمير المتكلم ، والى تكرار نفس التحديق فى دهشة الى الفحص الذاتى للعالم الذى قام به هو فى كتابه الاول / بذور / (**) ثم فى كتابه الثانى / كلمات / ...

ففى الكتابين دعوة الى الاصغاء من الصعب رفضها لانها لطيفة ، ودعوة الى التحديق من الصعب تجنبها لانها تثرى الفكر والذوق والوجدان ...

وفى الكتابين ، يكثر (المجدوب) من ضمير المتكلم ، ومن جعل نفسه المحور الذى تدور حوله صور ، وأحلام ، وخطرات ، وأحكام ، مصاغة كلها بفن

(*) « **كلمات** » : كتاب صادر عن الدار العربية للكتاب وقد قدم لـه الأستاذ **محمود المسعدى** .

(**) « **بذور** » كتاب صادر عن الدار التونسية للنشر ، وقد قدم له الأستاذ **محمد مزالى** ..

يلتمس له صاحبه ألوانا من الصقل والتهذيب تطرح النثر والشعر معا على الصفر فيصبحا لغة أخرى لها الخصائص المميزة للشعر وان كانت نثرا ، ولها الخصائص المميزة للنثر وان كانت شعرا رافضا للوزن وللقافية ٠٠

ولكن الاستجابة الى الدعوتين الاولى والثانية ، فى الكتاب الاول (بذور) ، وفى الكتاب الثانى (كلمات) ليست من القارىء اضاعة للوقت ، أو ذهابا اضطراريا عن حسن نية الى شريطين يعرضان نفس الصور ٠٠ والاحداث والاشخاص والاصداء ٠٠

لماذا ؟

لأن « المجذوب » لئن أوهمك بأنه يقوم بعملية « استريبتيز » بمفرده (عن طريق نقاوة السفور الباطنى والتجريد) فهو ، فى الواقع ، لا يحدثك عن نفسه وانما عنك ، وعن اسرارك المخيفة ٠٠ وعن المطلق ٠٠

لذلك ، الكتابة عند هذا الرجل الذى يؤمن بأن الناس يتصافحون « بالقلوب لا بالايدى » هى « **خروج من المناجاة الى الحوار** » أى أنك بعد أن تطمئن الى أن صاحبنا قد أجلسك على كرسى حجرى ، بحديقته وأحضر لك فنجان قهوة ، ووضع أمامك علبة سكاير ، تدرك ــ بعد هنيهات ــ أن ضمير المتكلم الذى يستخدمه الكاتب بشىء من الادمان ليس الا طريقة متأدبة للتجسس على أعمق أسرار ذاتك ٠٠٠ وتدرك ــ كذلك حتما ــ أن صاحبك الذى استضافك بكل لطف لكى يضعك وجها لوجه مع « الانسان الآخر » فيك ، انما فعل ذلك لا لشىء سوى خوفا عليك من أن تصاب بالصمم لفرط استماعك الى ثرثرتك الذاتية ٠٠ لهذا فهو يحدثك عن كل شىء وعن اللاشىء ، آخذا نقطة الابتداء من ذاته ، من تجاربه ، من رؤيته الفردية ، ومن الرواسب التى تتركها انعكاسات الحياة فى نفسه ٠٠٠

وشخصيا ــ ورغم أن أديبنا البشير المجذوب قد شبه شهوة الكاتب الى الاطراء برغبة الحسناء الى النسيب ــ فاننى سأسمح لنفسى بأن أصارحه (فى شكل ملحوظات « شرسة » بعض الشىء ، وبعيدة عن « النسيب ») بما يلى :

● كنت من القلائل الذين ٠٠ يحترمون خروج الاستاذ البشير المجذوب عن الطرق المعبدة أى عن تلك « المناطق » التى يشعر محترفو النقد الادبى الكلاسيكى والاكاديمى أنها مقدسة ٠ وتلك « المناطق » هى الاشكال « الرسمية» للكتابة كالشعر الموزون ، والمسرحية ، والقصة ، والرواية ، الخ ٠٠٠

« والمجدوب » برفضه ـ عن وعي أو عن لا وعي ـ لان يكون جزءا من الادباء المرشحين للتحول الى « ارقام أدبية » داخل كتاب تونسي حول الشعر المعاصر، أو داخل دراسة أدبية تونسية حول القصة او المسرحية او الرواية ، قد كان يبدو لى شخصيا ـ على الاقل ـ كاتبا يبشر (مع السابقين له ومع اللاحقين) بدعم الخط الفني الذي تؤمن به الكتابة الرافضة للقالبية والجمود • أى للكتابة الفنية التي تروم تفجير الاشكال المتفق عليها ، والمفروغ من بنائها المعماري القديم الذي تجاوزته الاحداث ••

وكنت في تفاؤلى بالكتابات الاولى للمجدوب (ضمن كتابه الاول « بنور » الذى قدم له الاستاذ محمد مزالى) أبرر تفاؤلى الخاص باللوحات الفنية التي كان فيها « المجدوب » يقف بكل كبرياء فى مفترق الطرقات المعبدة للاشكال الجاهزة • وكنت أقول فى نفسى ، ان هذا الكاتب رغم طبعه المسالم المحبب الى النفس سيختار الطريق الخامسة داخل الطرق القديمة التي تجمدت في رقم (4) وبذلك سيبصق (مع الاعتذار للمجدوب) على التصنيفات الاكاديمية القديمة التي تجاوزتها نوعية كتابته الخاصة ••

ولكن ما راعنى ـ فى الكتاب الثانى ـ الا ان أشاهد أن (المجدوب) قد انتهى الى الخط الذى سقط فيه من ذى قبل كثيرون فى العالم العربى وفى الحضارات الاخرى ومن بين هؤلاء ميخائيل نعيمة الذى كتب النثر الفنى ثم سقط في جوامع الكلم ، والحكم ، ولست أدرى ماذا •• و •• بجانب ميخائيل نعيمة كاتب آخر من المغرب اقتفى أثره وانتهى نهايته (مع وجود الفارق) ، وذلك الكاتب هو محمد الصباغ ، صاحب (شجرة المحار) ••

فلكاتبان المذكوران ـ رغم وفرة انتاجهما بالقياس الى صديقنا الفاضل البشير المجدوب ـ قد كانا أيضا يبشران بالتفجير لقوالب الكتابة ثم سقطا فى هذا الشيء القديم الذى يذكرنا برائدين من رواد الادب المقالى فى الغرب هما : (مونتانى) و (باكون) وان الكاتبان الاخيران قد تطورا في خلقهما « للأدب المقالى » من الايماء الى التفسير ، ومن الضنانة الى السخاء ، في حين أن ميخائيل نعيمة ، وجبران ، ومحمد الصباغ ، والبشير المجدوب ، قد ساروا في الاتجاه العكسي ، أى من النثر التأملى المتدفق الى الاحتجاز والتركيز والحكمة التى تقوم على ملاحظة الكون من خلال فحص ذاتى ، أو ظاهرة ضئيلة من تزاحم مشاهد الحياة اليومية ••

وبالطبع «السقوط» الوارد فى قاموسى وفى «الفرازيولوجيا» التى ابتدعها أبناء جيلى الجدد ، ليس الا سقوطا فى تطور أشكال الكتابة (كما نراها نحن ، وكما نريد تفجيرها) • « فالمجدوب » كان « أملا » ولكنه سقط من حسابنا ، لكى يسير بمنتهى « اللياقة البدنية » و « الفنية » فى الخط الكلاسيكى الذى يسير عليه جبران ، وميخائيل نعيمة ، وأمين نخلة (فى « المفكرة الريفية ») ، ومحمد الصباغ فى « شجرة محار » الخ ••

هل قلت « شيئا خطرا » يحتاج الى المزيد من التأكـد والمراجعـة ؟ لسـت أدرى ، ولكن الذى أدريه هو ان « المجدوب » يظـل ـ رغم كل مـا اسلفـت ـ أقرب الى الجيل الجديد من محترفى كتابة القصة التقليدية ، ومن محترفـى كتاب « النظم المشعور » ، ومن البقية المعروفة •• فهو قريب من المستقبل بعيد عنه لانه (ولا اريد أن اتناسى أديبنا الكبير المسعدى) من ذلك الصنف الممتاز من « الفنانين » الذين تقف تطلعاتهم الابداعية خارج الطرق المعبدة لتطل عـلى المستقبل وعلى الماضى دون قرار نهائى على الرحيل ••

هل هذا هذيان ؟ قل ما شئت أن تقول وأنا أحترمك دائما !

م• م•

كتب جديدة

● **الشعر الأموى فى خراسان والبلاد الايرانية**

أهدانا صديقنا الدكتور الهادى بن حمودة الغزى كتابه الجديد عن الشعر الاموى فى خراسان والبلاد الايرانية وهى رسالة ماجستر من جامعة القاهرة تحت اشراف الدكتور شوقى ضيف ، نهنئه على توفيقه *فى اصدار كتابه عن الدار التونسية للنشر ومؤسسة الوحدة للنشـر* والتوزيع الكويتية ونشكره على هديته الثمينة

● **تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب**

أهدانا صديقنا الاستاذ عبد الكريـم غلاب كتابـه الجديـد تاريـخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية الى اعلان الاستقلال والكتاب ثمين جدا خاصة وأن الاستاذ عبد الكريم غلاب ساير الحركة الوطنية منذ يفاعتها وكان فى مقدمة العاملين فى ميدانهـا • نشكـره على هديته ونتمنى للكتاب الرواج •

أضواء الفكر

● **مجلة أكتوبر و « الفكر »**

« جاء في العدد الثاني عشر (16 يناير 1977) من مجلة « أكتوبر » المصرية في ركن قرأت لك بتحرير عبد العال الحمامصي مايلي :

« أقدمت مجلة « الفكر » التونسية في مستهل العام الجديد على إصدار عدد خاص وقفته بأكمله على الأدب في المغرب الاقصى ... والحق أنها مبادرة ممتازة لتوثيق أواصر التفاعل والتلاقح بين المعطيات الابداعية في شتى أقطار العروبة . وليت هذه المبادرة تتجاوز أحاديتها من جانب المجلة وبقية مجلات الثقافة في العالم العربي لتقدم على اصدار أعداد خاصة مماثلة عن حركات الأدب والفكر والفن في جميع الاقطار العربية حتى تقام جسور التواصل الوجداني لاثراء الضمير العربي بالرؤية الادبية المكتملة من خلال التنوع إبداعا ... والنقد حوارا وصولا الى الوحدة ليصبح الحلم واقعا... يؤكد لنا « البشير بن سلامة » رئيس تحرير مجلة « الفكر » في مقدمته لهذا العدد بأن الأرضية التي ينطلق منها الادب في المغرب الاقصى هي نفسها الارضية التي ينبني عليها الادب المعاصر في جميع البلدان العربية . غير ان للمغرب الشقيق خصوصيته وطرافته ... حيث نجد في هذا الادب أصداء لهذا الشعب العظيم الذي بنى الامبراطوريات ودوخ العالم الغربي . ووقف في وجهه سدا ينافح عن الحضارة العربية الاسلامية ، كما نظفر بمحاولات للتجديد والتجريب واضفاء ثوب على اللغة فيه طرافة وبحث عن الممتع والمعبر والمشوق »

وبعد ان استعرض المعلق أهم ما جاء بالعدد كتب :

« وتبقى بعض الملاحظات :

أولا : كنا نتمنى أن تواكب المجلة عددها بدراسة نقدية شاملة عن الأدب المغربي في جميع مراحله . وتبيان موقعه من خريطة الأدب في عالمنا العربي وفي الشمال العربي خاصة ... حتى تتاح للقارىء العربي نظرة لهذا الأدب مكتملة الرؤية ولا تغني المقابلة التي أجرتها المجلة مع الاستاذ عبد الكريم غلاب عن هذا في اعتقادي .

ثانيا : كان ينبغي أن تقدم لنا كل كاتب من الذين نشرت أعمالهم على حدة ... تعريفا به وباسهاماته وأعماله وتعريفا بالاجيال والمدارس التي ينتمي اليها هؤلاء الكتاب

ثالثا : كان يجب ليتوافر للمبادرة اكتمالها ومنهجيتها أن تقدم لنا المجلة دراسة نقدية عن القصص التى اختارتها والأشعار التى قدمتها وتحديد مواقعها فى ساحة الأدب المغربى .

هذه ملاحظات لا تقلل من حجم المبادرة الممتازة ولا من أهميتها ويبقى للمجلة شرف المحاولة ونبلها . »

نشكر المجلة على عنايتها وعلى الملاحظات التى أبدتها وهى مصيبة فى جملتها ولسنا غافلين عنها ولكنها الامكانيات والظروف نتمنى أن تتوفر لنا فى المستقبل بصورة أوفر حظا ونجاحا .

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جوائز الأدب الفلسطينى

تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن الجوائز التالية للأدب الفلسطينى :

☐ الرواية أو المسرحية التى تعبر عن تلاحم النضال العربى الفلسطينى مع النضال العربى فى مواجهة الاستعمار والامبريالية العالمية

- الجائزة الأولى 600 دولار
- الجائزة الثانية 400 دولار
- الجائزة الثالثة 200 دولار

☐ **مجموعة القصص القصيرة :**

- الجائزة الأولى 600 دولار
- الجائزة الثانية 400 دولار
- الجائزة الثالثة 200 دولار

☐ **الشعر :**

- الجائزة الأولى 600 دولار
- الجائزة الثانية 400 دولار
- الجائزة الثالثة 200 دولار

وتدعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الأدباء الفلسطينيين الى إرسال إنتاجهم الذى يرشحونه لهذه الجوائز إلى إدارة الثقافة بالمنظمة (109 شارع التحرير – ميدان الدقى – القاهرة) فى موعد غايته منتصف أغسطس / آب 1977 .

الفهرست

العدد 6 ـ مارس 1977 السنة الثانية والعشرون

الفكر

مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا

مؤسسها ومديرها المسؤول

محمد مزالى

رئيس التحرير : **البشير بن سلامة**

سكرتير التحرير : **عبدالوحد براهم**

الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس

تلفون : 260.237

الحساب الجارى : 33769 ـ تونس

العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 3 دنانير .

اشتراكات بالخارج 3،500 ثلاثة دنانير ونصف

اشتراك الانصار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة أو يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم :

مدير مجلة « الفكر »

صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR-Revue mensuelle culturelle 22e Année N° 6 Mars 1977

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجى سليم ـ تونس